كريمان حمزة

رفقاً بالقوارير



تقديم

محمد الغزالي

الروضة

نشر توزيع

هذا الكتاب

أقدم هذا الكتاب:

إلى كل فتاة آمنت بالله رباً - وبالقرآن دستوراً وبمحمد ﷺ رسولاً وقائداً ومرشداً - محبة للسير على طريق عائشة، وأسماء والخنساء وغيرهن من اللائي سرن على طريق الله - إلى صانعات جيل المستقبل - إلى العفيفات الطاهرات اللواتي أَبَيْنَ أن يعشن حياة اللهو والهوان، ولم ينخدعن بمظاهر المجتمع الفاتنة المفسدة - إلى اللائي حرصن على عزة الإسلام وحملن الفكر الناصع والإلتزام الساطع والصبر على الطاعات والبعد عن الشهوات - إلى كل أم مسلمة جعلت من نفسها قدوة لأبنائها تعلمهم بذل أبي بكر وحياء عثمان وشجاعة وعلم علي رضي الله عنهم تشجعهم على التضحية والفداء في سبيل الله حتى يكون منهم، خالد بن الوليد وطارق بن زياد تزرع في نفوسهم رباطة الجأش والثبات وقت المحن - إلى المقتديات بخديجة في برها بزوجها ووقوفها بجانبه حين اجتمعت عليه ضلالات الدنيا كلها مقتدية بها حين قالت:

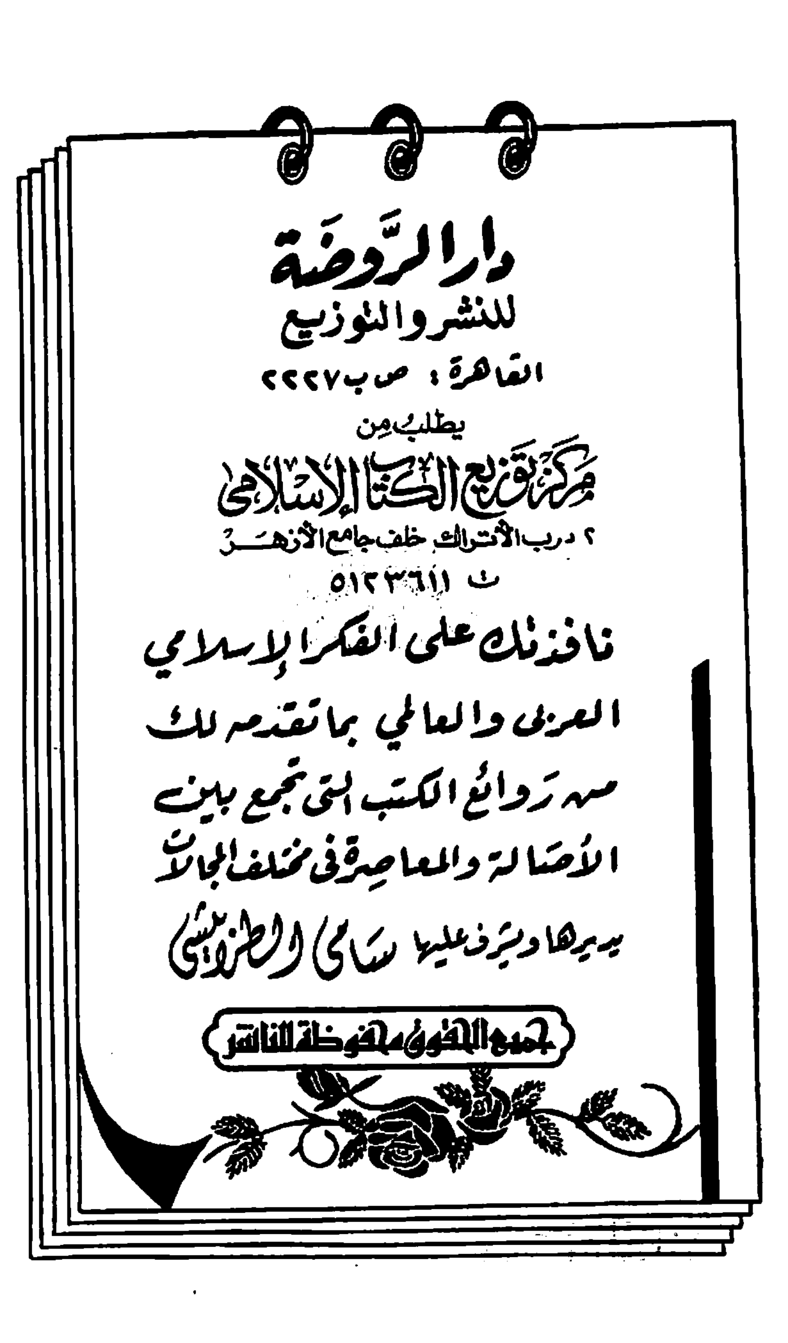
[«إمض كما أمرك الله به والله لن يضيعك أبداً»].

وأرجو أن يكون هذا الكتاب مرجعاً لكل مسلمة ملتزمة

سامي الطرابيشي



رفقاً بالقوارير



دار الروضة
للنشر والتوزيع
القاهرة : ص ب ٢٢٢٧
يطلب من
مركز توزيع الكتاب الإسلامي
٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
ت ٥١٢٣٦١١
نافذتك على الفكر الإسلامي
العربي والعالمي بما تقدم لك
من روائع الكتب التي تجمع بين
الأصالة والمعاصرة في مختلف المجالات
يديرها ويشرف عليها سامي الطرابيشي
جميع الحقوق محفوظة للناشر

كريمان حمزة

رفقاً بالقوارير

الروضة
للنشر والتوزيع

تقديـــم

بقلم: الداعية الإسلامي الكبيـر
الشيـخ محمد الغزالي

عرفت السيدة «كريمان حمزة» وهي تترك التقاليد الغـربية وتتبع التعاليم الإسلامية.. وهي نقلة صعبة.. لأن في التقاليد الحديثة ما يغري مادياً وادبياً.. أما التقاليد الموروثة، فقد كانت أولاً لا تنطبق مع تعاليم الإسلام، وكانت آخراً تزري بالمـرأة وتضنّ عليها بالكثير من حقوقها الفطرية.. ومن السهل أن أقول: إن حبس المـرأة في البيت أفضل من ابتـذالهـا في الأحفـال الراقصة.. ولكن حقائق الدين والدنيا أوسع وأخطر من ابرازها في هذه المقابلة المثيـــرة بين قعيدة بيت وصريعة أضواء.....

إنَّ التساؤل الجدير بالإجابة الدقيقة هو: ما هو الجو الذي يهيئه الإسلام لحياة المرأة واكتمال وجودها وأداء وظيفتها؟ وهل هذا الجو كافٍ معقول لا بخس فيه أم ماذا؟ وإنما قام هـذا السؤال لأن تقاليد المسلمين اتخذت مساراً غير تعاليم الإسلام

نفسه، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر قول رسول الله ﷺ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله. فلما حدَّث ابن عمر بهذا، وبحديث: إئذنوا بالليل للنساء إلى المساجد، قال ابنه معترضاً: إذن يتَّخذنه دغلاً - أي ذريعة للفساد - وقال الولد لأبيه: والله لنمنعهن!! فغضب منه أبوه، وضرب في صدره، وقاطعه إلى آخر حياته وقال: أقول قال رسول الله، وتقول: لا...!!

والغريب أنَّ حديث ابن عمر الصحيح وقف العمل به، وأن الأجيال المتعاقبة نفَّذت رغبة الولد العاقّ، ثم جاء فقهاء يلتمسون الفتاوى والأحكام لمنع النساء من المساجد، وتسعة أعشار المساجد في العالم الإسلامي محظورة على النساء، فهل أستطيع القول بأنّ هذه تقاليد إسلامية؟

وأعداد كبيرة من المسلمين ترى قتل المرأة إذا انحرفت! ولا تغضب كثيراً إذا انحرف البنون! فهل هذه تقاليد إسلامية؟ لقد هجمت الحضارة على العالم الإسلامي وهو من الناحية السياسية لا يعرف عن الشورى إلا أنها قدرة الحاكم على فعل ما يشاء، لأن الشورى غير ملزمة له!

أما من الناحية الثقافية فإن الحديث المكذوب «لا تعلّموا النساء الكتابة....» كان مرعياً بدقَّة، فلم تُفتح مدرسة لتعليم البنات طوال قرون!!

ولا نفيض في ذكر أنواع الخلل الاجتماعي التي سيطرت

علينا، وكان لدنيا المرأة نصيب موفور من ذلك.. من أجل ذلك تابعتُ نشاط السيدة «كريمان حمزة» وهي ترتاد لأترابها مجالاً إسلامياً صحيحاً تبتعد فيه عن مباذل الحضارة الحديثة، وتحترم فيه تعاليم الإسلام، وتتخلص فيه من قيود الجهل وعُقَد الهوى التي شاعت باسم الإسلام في غير مكان....!

إن «كريمان حمزة» تواجه خصمين عنيدين: أحدهما: يحاربها باسم الدِّين لأنها سافرة الوجه، تغشى المجامع داعية إلى الله، وهذا الخصم يريد إخراس صوتها، وإلزامها بيتها.. أما الخصم الآخر فهو يكره الإسلام الذي تعرضه، ويريد فرض الحضارة الوافدة بخيرها وشرِّها وبرِّها وفجورها، ويرى في أسلوبها الصحيح ومظهرها المحتشم ما يزعجه، ويرى في الصورة التي يعرضها المتدينون الجامدون دمامة تنفِّره من الإسلام كله، وتبغِّض لديه عقائده وشرائعه على سواء.. إننا نرجو لها التوفيق في ذلك الطريق، والله الهادي إلى الصواب..

محمد الغزالي

— ... — ... —

المقدمـــة

كلما دعيت إلى مجلس علم: ندوة أو محاضرة، أعددت العُدَّة لتكون كلمتي بنّاءة، هادفة إلى جمع كلمة المسلمين وتوحيد الصف. وأحاول جاهدة أن أضع يدي ويد المستمع على مراحل ومقومات النهضة الإسلامية الشاملة حتى نرى بأعيننا الأمة الإسلامية الواحدة التي ننشدها في اليقظة والمنام.

أذهب إلى كل ندوة بهذه الهمة العالية. ولكني أصطدم دائماً بنوعية الأسئلة التي توجّه إليَّ خصوصاً من النساء، فما تقع أعينهن عليَّ حتى ينهلن عليَّ بعديد من الأسئلة التقليدية نحو:

ـ هل عمل الحواجب حلال أم حرام؟

ـ هل الباروكة حرام أم حلال؟

ـ هل الحب حلال أم حرام؟

ـ هل الكحل.. البرفان.. الاختلاط.. عمل المرأة.. الخ.. حلال أم حرام؟.

واظلّ أُجيب عن هذه الأسئلة إلى أقصى جهد أو طاقة أملكها، ولا يتوقف هذا السيل المتدفق من الأسئلة حتى أجد

نفسي في حالة دوّار كدوّار البحر، فـأنفلت من بينهن وأنطلق هاربة... وحين أعود إلى بيتي أشعر بالارهاق الشديد.

من أي شيء؟!

من لا شيء؟!

ومـع تكرار الأسئلة في مثـل هذه المنـاسبات خشيت أن تنصرف المسلمة عن الدور الذي يجب أن تقوم به تجاه دينها ووطنها وأُمّتها الإسلامية إلى أُمور مسلَّم بها قد تستنفد الوقت والجهد اللذين يجب أن نضعهما في نصابهما.. لذلك قررت تسجيل عدة حلقات تلفازية أنهي بها القـول في هذه الأمـور الدقيقة.

وقـد استضفت آنذاك «مفتي مصـر الأسبق» فضيلة الشيخ «محمد خاطر»، وتمَّ تسجيل عدَّة حلقات معـه، وما أن أُذيعت الحلقـة الأولى، حتى صـدرت الأوامـر بمنـع إذاعـة بقيـة الحلقـات... وتسـاءلت لمـاذا؟ فـأحضـروا إليّ مـا كتبتـه «الرقابة»..!!

وفوجئت بتعجب «الرقيب» من نوعية الأسئلة وتعليقه بأنـه ليس من المعقول أن تنشغل المرأة في القرن العشـرين بهذه الأمـور التافهة!!

وتألمتُ بالطبع لمنع هذه الحلقات، ولكني التمست العذر للمسـؤولين. فهم ليسـوا مثلي يقضـون الـوقت وسط جمهـرة

المصليات ومرتادات الجمعيات الإسلامية.

وزاد من أسفي أن المسؤولين في «التلفاز» اعتبروا هذه الحلقات نوعاً من «الهوس الديني»[1] الذي لا بد من قمعه وأخذه بالشدة!!

ولكني أحسست بمسؤوليتي تجاه هذه التساؤلات الكثيرة، ونظرت إليها نظرة غير متشائمة، ذلك لأنه مع العودة إلى الله، يعيد الإنسان تقويم كل شيء، حتى أدنى الأمور لأنه يريدها عودة كاملة غير منقوصة.. فلا عجب أن تمحص العائذات إلى الله كافة الأمور صغيرها وكبيرها على السواء.

وإذا لم ينتبه المصلحون والدعاة إلى هذه الصحوة المباركة، ويتعهدونها بالرعاية الطيبة، والعناية المخلصة، والنصح الرشيد، وبذل الجهد لإيضاح كافة الأمور، فقد يرتوي هذا الجيل المتعطش من نبع مغرض يودي بشباب الأمة - لا قدر الله - إلى الهلاك.

وأصل المشكلة يكمن في الاعلام النسائي (الصحفي والاذاعي) مسموعاً أو مرئياً.. فقد أفرط في الاهتمام بهذه الأمور

---

(١) اعتاد الناس أن يصفوا كل عمل إسلامي لا يروق لهم أو يجهلونه بالهوس الديني.. ونحن نعجب بدورنا.. كيف ينسبونه أولاً إلى الدين ثم يصفونه بعد ذلك بالهوس؟!!.

الشكلية، والتي أصبحت الشغل الشاغل للنساء جميعاً كباراً وصغاراً.

وإذا أضفنا إلى هذا الافراط كمّ الاعلانات الهائل، الذي يشكل نوعاً من «الهوس الحريمي» بأنواع الشامبو والبارفان والماكياج. . . الخ، أي بظاهر المرأة وليس بجوهرها. . فإننا ندرك السبب في كثرة الأسئلة التي يتعرض لها أي داعٍ أو داعية.

حدث أن دعيت إلى جمعية «الشبان المسلمين» بالقاهرة، لتسجيل لقاءات إسلامية مع السادة العلماء، ومجموعة من الشابات والشبان، فسألوا نفس الأسئلة! ثم ذهبت في نفس الأسبوع إلى ملتقى الفكر الإسلامي بالاسماعيلية فسألوا أيضاً نفس الأسئلة!

والغريب أن واحداً من العلماء لم يجب عن أسئلتهم بالرغم من وفرة أهل العلم والمعرفة في ذلك اليوم، وإن وعدهم السيد المحافظ (عبد المنعم عمارة) يومها بعمل كتيب يردُّ على كل هذه التساؤلات.

ثم كان القرار الشجاع لرئيس جامعة الأزهر الشريف السابق الدكتور «محمد الطيب النجار» - بمجرد توليه المنصب - إلزام جميع الطالبات الأزهريات بالزي الإسلامي المحتشم داخل الحرم الجامعي الأزهري، وانشرحت صدور المؤمنين جميعاً. ورغبت أن أتجول بنفسي داخل الكليات في الجولة التي كان

رئيس الجامعة ـ بارك الله في عمره ـ قد قرَّر أن يقوم بها، ليطمئن بنفسه على تنفيذ القرار، وهالني أن فتيات الجامعة الأزهرية بالرغم من دراستهن الإسلامية المتخصصة سألن نفس الأسئلة!

فاستعنت بالله العظيم، وقررت اخراج هذا الكتيب، واعتمدت فيه قدر طاقتي على الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وآراء العلماء الكبار من أهل الثقة. ثم حاولت جاهدة التوفيق بين ظروف العصر، ومرضاة الله تعالى.. ثم عرضت الأمر على فضيلة الشيخ (محمد الغزالي) وهو حجة بلا شك. فطلب مني تخريج كافة الأحاديث[1] التي تضمنها هذا الكتيب، ورشح لي الدكتور «الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف المصري ليعاونني في الأمر، فأهدى إليَّ هدية ثمينة هي تلميذته الأخت الفاضلة الدكتور «سهير بكري» الأستاذة بجامعة الأزهر، والتي بذلت لمساعدتي كثيراً من الجهد، وعلمتني كيف يمكن تخريج الأحاديث ومعرفة درجتها. وأمضينا نحو شهر في مكتبة الأزهر الشريف، وتمَّ لنا ما أردنا.. والحمد لله حمداً كثيراً...

كريمان حمزة

القاهرة ـ

---

(١) أي الاستيثاق من صحة الأحاديث (أي معرفة صحة السند والمتن).

الإختلاط[1]

خلق الله الناس من ذكر وأُنثى في مجتمع واحد، هو مجتمع الأرض، ولو شاء أن يخلق مجتمعاً خاصاً بالذكور وآخر خاصاً بالإناث لفعل.. وما ذلك على الله بعزيز. ولكنه خلق مجتمع الناس من ذكر وأُنثى لحكمة يعلمها الله ويعلمها العالمون: ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[2].

صور من مكانة المرأة أيام الرسول ﷺ

١ ــ في المساجد :

كانت صلاة الجماعة تقام في كل وقت، وكانت النساء يقمن خلف الصفوف، ويذكر التاريخ أن زوجات الصحابة كُنَّ يصلِّين

---

(١) لا نقصد هنا بالاختلاط ما هو معهود الآن من لقاءات غير مشروعة بين الرجل والمرأة.. وإنما المقصود به أن المرأة لم تكن محظورة من التردد على أماكن العلم العامة وغيرها حيث الرجال.. لقد كانت المرأة على عهد رسول الله ﷺ جزءاً حياً وكياناً مستقلاً له دوره في الحياة. تعمل في حشمة واحترام.

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣.

الفجر في المسجد[1].

٢ ـ في الدروس الدينيـة :

ونذكر المرأة التي راجعت عمر، رضي الله عنه، في موضوع المهور، فردَّ عليها بقوله الشهير: «أصابت امرأة وأخطأ عمر».

ففي تفسير ابن كثير[2] : «ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ، ثم قال: أيها الناس ما إكثاركم في صداق المرأة، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك. ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تستبقوهم إليه، فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق المرأة على أربعمائة درهم». قال ثم نزل «اعترضته امرأة من قريش فقالت:

«يا أمير المؤمنين نبهت الناس ألاّ يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم. قال: نعم. قالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ قالت: أما سمعت الله يقول: ﴿. . . وآتيتم إحداهن قنطاراً . . ﴾ الآية. قال: اللهم اغفر. . كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فركب المنبر وقال: أيها الناس قد نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب. . قال أبو يعلى: وأظنه قال:

---

(١) ذكرت كتب الصحاح أن النساء كن يخرجن إلى المسجد بغلس تفلات.. أي بلا عطور على هيئة لا تلفت النظر ولا تثير انتباه الرجال.

(٢) جـ ١ ص ٤٦٧.

فمن طابت نفسه فليفعل»[1].

والذي يعنينا من هذه الحادثة أن النساء كن يحضرن مجلس العلم.

٣ ـ في السياسة:

كانت المرأة تبايع النبي ﷺ، يشهد على ذلك القرآن الكريم:

﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله، إنَّ الله غفور رحيم﴾[2].

وهكذا كانت المبايعة من مقومات الحياة الاجتماعية الجديدة. يقول «سيد قطب» في الظلال، حول هذا المعنى:

﴿ولا يعصينك في معروف﴾ معناها: يشمل الوعد بطاعة الرسول في كل أمر يأمرهن به وهو لا يأمر إلا بمعروف. ولكن هذا الشرط هو أحد قواعد الدستور في الإسلام، وهو يقرر أن لا طاعة على الرعية لإمام أو حاكم إلا في المعروف الذي يتفق مع

---

(١) اسناد جيد قوي، كما ذكر ابن كثير، وجاء بطريقة أخرى أنه قال: ان امرأة خاصمت عمر فخصمته. وجاء أنه قال: امرأة أصابت وأخطأ رجل.

(٢) سورة الممتحنة: ١٢.

دين الله وشريعته، وأنها ليست طاعة مطلقة لولي الأمر في كل أمر وهي القاعدة التي تجعل قوة التشريع والأمر مستمدة من شريعة الله»[1].

قال فضيلة الشيخ «محمد الغزالي» فيمن يرفضون اشتراك المرأة في النشاط السياسي:

«وباسم الحجاب قامت تقاليد تزدري المرأة وتؤخرها وترفض منحها الحقوق المادية والأدبية التي أقرها لها الإسلام، فماتت إنسانيتها على مر القرون، وتولى كبر ذلك كله متدينون جهلة يحسبون التقوى تجهيل المرأة واذلالها».

إن أي مطالع للقرآن الكريم والسنن الصحاح يرى المرأة جزءاً حياً في مجتمع حي، فهي تتعلم وتتعب وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجاهد - إذا شاءت - في البر والبحر، وتؤخذ منها البيعة على معاقد الإيمان والأخلاق، وتعارض الحكم أو تؤيده.. الخ.

ولا يزال نفر من علماء الدين يكرهون وجه المرأة ويحملونها مسؤولية خروج آدم من الجنة ويرون الدين حرمان المرأة من أي نشاط.

واعتقد أن هؤلاء العلماء القاصرين لو كانوا على عهد رسول

---

(١) في ظلال القرآن: جـ ٥ - ص ٣٥٤٨.

الله ﷺ لطالبوه بطرد السيدتين اللتين حضرتا بيعة العقبة الكبرى وقالوا له: ما للنساء وهذه الشؤون!

ولو كانوا موجودين عند فتح مكة لقالوا له: حسبك بيعة الرجال وهم يعلمون نساءهم، ولو كان هؤلاء العلماء ـ على المجاز لا على الحقيقة ـ لو كانوا مع نبي الله سليمان وهو يكتب خطابه لبلقيس «ألا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين» لقالوا له: عدِّل هذه الصيغة، فإنك تعترف بتوليتها منصب الملك، أكتب بعزلها أولاً، ثم تفاهم مع الرجال وخدهم»[1]!!

٤ ـ في أمور البيع والشراء:

أي في الأسواق وفي مجال العمل، لقد كانت زينب بنت جحش زوج رسول الله ﷺ، تعمل في دباغة الجلود. وهي من وصفتها عائشة بالورع في حادث الإفك، وهي ابنة عمة النبي..

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم، من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت:

قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن[2] يداً، قال: فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً. قالت: وكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق، وكانت امرأة صنّاعة مالْيد

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٧٨.
(٢) أكثر كرماً وعطاء.

فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله.. تزوجها رسول الله وهي بنت خمس وثلاثين سنة»[1].

٥ ـ وقت الحـرب :

كانت المرأة تداوي الجرحى، بل وتشترك في المعـارك، وتذود عن رسول الله ﷺ ـ وهناك من المجاهـدات من وقفت خلف رسول الله ـ ﷺ ـ في الغزوات وضربت أروع مثل للبطولة والفـداء. ونضـرب مثـلاً بنسيبـة بنت كعب[2] التي اشتهـرت بالشجاعـة.. وتعد من أبـطال المعارك، شهـدت بيعة العقبـة واليمامة، وقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت يومئذ اثنى عشر جرحاً بين طعنة وضربة.. وكان رسول الله ﷺ ـ إذا حدّث عن يوم أحد، وذكر «أم عمارة» يقول: «ما التفتُ يميناً وشمالاً إلا رأيتها».

«وفي سيرة الرسول ﷺ رأينا عجباً يوم حنين لقـد انهزم الطلقاء(*) وأسلموا سيقانهم للريح وثبتت مع المؤمنين الراسخين

---

(١) ابن عبد البر ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب جـ٤ / ١٨٥٠ ـ ١٨٠١، وابن حجر ـ الاصابة في تمييز الصحابة جـ٤ / ٣١٤، وابن الأثير ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ٥ / ٤٦٣.

(٢) نسيبة بنت كعب بن عوف المازنية الأنصارية، من بني النجار، صحابية، أسلمت وشهدت أيضاً الحديبية وخيبر، وكانت تخرج للقتال، وتسقي الجرحى [الاعلام: المجلد الثامن ص ١٩].

(*) وفي حديث حنين: خرج ومعه الطلقاء؛ هم الذين خلّى عنهم يوم فتح مكة فلـم يسترقّهـم، واحـدهـم طليق وهـو الأسيـر إذا أطلق سبيله. وفي الحديث: الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف، كأنه ميّز قريشاً بهذا الاسـ =

بضعة نسوة قاتلن بشرف وبسالة، ودافعن عن نبيهم أشرف دفاع، ورآهن النبي ﷺ، وهن كالآساد حوله، واقترحت أم سليم(**) أن يقتل الرسول الفارين، ولكن الرسول عفا(1).

ولست بهذا النقل أدعو إلى تجنيد النساء ليشاركن في القتال. كلا، ولدينا ألوف وألوف من ذوي اللحى والشوارب يجب أن ينهضوا بواجبهم، فإذا فنوا خلفهم النساء.

ويستطرد فضيلة الشيخ الغزالي:

«وإنما أتساءل: أين التقاليد التي مكّنت النساء قديماً من إحراز هذا الشرف؟ فكنّ في معارك الإسلام الكبرى بطلات وأمهات أبطال وزوجات أبطال؟.

لقد اختفت هذه التقاليد لتحل محلها تقاليد أخرى، أساسها أن المرأة متعة في البيت لفحل يغدو عليها ويروح وحسب، لا صلة لها بعلم ولا عبادة ولا جهاد ولا اصلاح!!»(2).

= وعندما دخل الرسول ﷺ مكة في عام الفتح خطب الرسول ﷺ قائلاً:
يا معشر قريش: ما تظنون أني فاعل بكم؟
قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.].

(**) أم سليم (الرميصاء) بنت ملحان بن خالد بن زيد ابن حرام، من بني النجار، صحابية، وهي أم أنس بن مالك، [الاعلام للزركلي - المجلد الثالث - ص ٣٣].

(1) الاستيعاب ٤ / ١٨٤٨ - ١٨٤٩، والاصابة ٤/٤١٨، وأسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٥ / ٥٥٥.

(2) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين - ص ١٨٤.

وهكذا أباح الإسلام الاختلاط في جميع هذه الصور، إلا أن المرأة كانت تختلط في صورة من الاحتشام وعدم التبرج.. صورة يرضى عنها الله ورسوله. فلم تكن بهيئتها المحتشمة تشكل خطراً على المجتمع، فلا هي فتنة تلهي العباد عن طاعة الله، ولا هي موضع تحريك غرائز وشهوات، بل كانت المرأة تنتزع تقدير الناس بحيائها وصبرها، وإتقانها للعمل وفقهها في الدين. ولهذا لم يحرم الإسلام الاختلاط المشروع والمشروط. ورب سائل يسأل:

«وما دام الإسلام قد أباح الاختلاط المشروع فلماذا قال ﷺ هذه الأحاديث الخمسة:

١ ـ «ما تركت بعدي فتنة أضرُّ على الرجال من النساء»[1].

٢ ـ «لا يخلون رجل بامرأة إلا ذي محرم»[2]..

٣ ـ «إياكم والدخول على النساء»[3].

٤ ـ «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في تحذير فتنة النساء ـ ٥ : ١٠٣، وعقب عليه بقوله: هذا حديث حسن صحيح (طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب ـ النكاح ـ باب لا يخلو رجل بامرأة إلا ذي محرم، والدخول على المغيبة ـ ٩ / ٣٣٠.

(٣) البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب لا يخلو رجل بامرأة ٩ / ٣٣٠.

(٤) الترمذي ـ كتاب الرضاع تعليقاً بـاب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات ـ ٣ / ٤٧٤ . وأحمد بن حنبل.

٥ ـ «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1].

أقول للسائل أو السائلة: نعم.. قال ﷺ هذه الأحاديث الخمسة التي لم تمنع الاختلاط ولم تحرمه. ولكنها قننته بميزان دقيق يحفظ الحرمات ويحمي الأعراض ويسمح بالاختلاط المشروع المشروط.

وما هذه الشروط؟

أولاً : الزي الشرعي، وسنفرد له فصلاً كاملاً إن شاء الله.

ثانياً : غض البصر: الذي أمرنا به بنص صريح: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾[2]. أي يقصرن أبصارهن على ما يحل لهن رؤيته من الرجال، وهو ما فوق السرة وتحت الركبة كما يقول بعض الفقهاء. ولكني أرى معناها إلى جانب ذلك عدم اطالة النظر أو الإمعان في الفرجة على الرجال.. أي استمراء التطلع مما يحرك فيها أو فيه أية شهوة، فيجب أن نعود أنفسنا على غض البصر طاعة لله وحفظاً لأنفسنا، فالمصلحة ستعود علينا لأنها لن تعرضنا لنظرة من الرجل تعقب نظراتنا قد يكون فيها جرح لكرامتنا بأية صورة من الصور.

وليس معنى غض البصر هو تجنب النظر نهائياً ولكن كما قال

---

(١) البخاري ـ كتاب الأحكام ـ باب الشهادة تكون عند الحاكم ـ ١٣ / ١٥٩، ومسلم ـ كتاب بدء الخلق ١١ ـ.

(٢) سورة النور : ٣١.

ﷺ لعلي: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»[1].

وفي الصحيح عن أبي سعيد: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات، قالوا يا رسول الله، لا بد لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: ان أبيتم فأعطوا الطريق حقه. قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر[2] وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[3].

وننقل شيئاً مما جاء في ابن كثير: قيل: «من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته وفي رواية: في قلبه» ويروى عنه ﷺ قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة، ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها»[4].

وفي الحديث القدسي: «ان النظر سهم من سهام إبليس

---

(١) الترمذي ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في نظر الفجاءة ـ ٥ /١٠١ ، وعقب عليه بقوله حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك.

(٢) أين نحن الآن من غض البصر، فالمسلمون الآن يجلسون على المقاهي خصيصاً للنظر إلى كل امرأة، والحملقة فيها دون أن يدروا أنهم يسيئون إلى انفسهم قبل الاساءة إلى النساء.

(٣) البخاري ـ كتاب الاستئذان ـ باب قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ . . ـ ٢٤٦/١٣.

(٤) في تفسير ابن كثير. عن أحمد بن حنبل وقال في إسناده ضعف.

مسموم من تركه مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[1].

هذا بالنسبة للرجال. . أما بالنسبة للمرأة فيقول ابن كثير: ان العلماء احتجوا بما رواه أبو داود والترمذي: «كانت أم سلمة عند رسول الله ﷺ وميمونة. قالت: فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالحجاب. فقال رسول الله: «احتجبا منه» فقلت يا رسول الله: أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال ﷺ: أوعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟» ثم قال الترمذي: حديث حسن صحيح[2].

وذهب آخرون من العلماء إلى جواز نظرهن إلى الأجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ- جعل النظر إلى الحبش وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملّت ورجعت[3].

ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي:

« ورؤية المرأة للرجال - مع غض البصر- ترويها أحاديث صحيحة ولكن بعض أهل العلم يطوون ما صح وينشرون آثاراً

(١) أخرجه الحاكم وصحّحه وأقرّه العراقي - راجع كشف الخفاء ٢/٣٢٨-٣٢٩. والطبراني.
(٢) الترمذي كتاب الأدب - باب ما جاء في احتجاب النساء ٥/١٠٢.
(٣) البخاري - كتاب الصلاة.

واهية أن المرأة لا ترى رجلاً ولا يراها رجل!!!»[1].

وقد وضعت تفاسير وذكرت مرويات لتقرير أن وجه المرأة عورة وأن الإسفار عنه جريمة.

وليس وراء هذا الزعم سنّة صحيحة ولا فقه قائم»[2].

ويقول الزمخشـــري :

«النساء مأمورات أيضاً بغض البصر، ولا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأساً، ولا تنظر من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن.

فـإذا قلت: لِمَ قَدَّم غض البصـر على حفظ الفرج؟ «قـل للمؤمنين يغضـوا من أبصارهـم ويحفـظوا فروجهم» قلت: لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه»[3].

** .. ** .. **

وعلى أية حال فإن النسـاء لا ينظرن إلى الرجال ـ والحمد لله ـ كما ينظر الرجال إليهن، ولا يفتنهن.. أن يتعرى من الرجال شيء.. إلا إذا كان زوجاً حلالاً لهن.. وذلك عكس الرجال

---

(١) رواه البزار . قال في مجمع الزوائد وفيـه مجهول ومتهم.

(٢) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين.

(٣) الكشاف : جـ ٣ / ١٨١.

الذين يفتنون بكل ما في المرأة، وعلينا في كل الأحوال أن نتجنب اطالة النظر مما يطمع الرجال فينا، حتى لا نرى ولا نسمع ما تكره كل حرة سماعه ورؤيته: فلنغض البصر كما أمرنا المولى عز وجل.

وربما ظننا أن غض البصر أمر صعب، فقد يكون صعباً في أول الأمر، ولكن إذا دربنا النفس على غض البصر أصبح هذا الأمر من شيمتنا نمارسه دون مشقة فنكسب رضا الله ورسوله والمؤمنين.

ثالثاً : عدم الخضوع بالقول:

يقول تعالى : ﴿يا نساء النبي لَسْتُنَّ كأحد من النساء إن اتَّقيتنَّ فلا تخضعنَ بالقولِ فيطمعَ الذي في قلبه مرضٌ، وقلنَ قولاً مٌعروفاً﴾[1].

والخضوع بالقول هو التناعم بالصوت أو التكسر في اللفظ لإظهار الأنوثة والنعومة والرقة،وهذا ممنوع إسلامياً بنص الآية الكريمة التي سبق ذكرها.

وهناك خطأ شائع حيث يقال عادة: إن صوت المرأة

---

(١) الأحزاب : ٣٢، قال السدي وغيره: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبت الرجال ـ ولهذا قال تعالى: ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي دخل. (وقلن قولاً معروفاً) قال ابن زيد قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ـ أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها.

عورة... والتعبير غير صحيح، فلم يرد حديث نبوي يدل على أن صوت المرأة عورة. ولكن يمكن أن نقول: إن صوت المرأة قد يكون فتنة إذا هي أرادت، ويمكن ألاّ يكون إذا أرادت هي أيضاً.

فالسيدة عائشة رضي الله عنها كانت راوية لأحاديث النبي ﷺ، والسيدة نفيسة كانت تخطب في الرجال بصوتها. ولا شك، ولكن شتان بين من تتكلم لتصلح وتبني، وبين من تتمايع بالصوت واللفظ لتثير شهوة رخيصة.

ورغم أن الكلام في هذه الآية موجه لنساء النبي ﷺ إلا أنها تربط التقوى بعدم الخضوع بالقول، وكأنما يريد الله من كل امرأة تتقي الله وتبغي مرضاته ألا تخضع بالقول. وآخر الآية ينبه المؤمنات التقيات لقول المعروف. أي استخدام الصوت في كل طيب من القول: ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾.

وكما أن صوت المرأة يمكن أن يكون فتنة، كذلك فإن مشيتها وقيامها وجلوسها وكل ما فيها يمكن أن يكون فتنة إذا قصدت هي ذلك. ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن﴾ [النور : ٣١].

رابعاً : ﴿وَقَرْنَ في بيوتكن﴾[1]:

ومعنى الآية الكريمة: إلْزَمْنَ بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة

---

(١) الأحزاب : ٣٣.

وليس معنى الآية منع المرأة المسلمة من الخروج ولكن السماح لها بالخروج لقضاء حوائجها وليس للتسكع.

ونلاحظ بأسف شديد أنه ما أن تفرغ الطالبات من الدراسة حتى يقمن بالانتشار في الشوارع والطرقات وممارسة صور ما من التسكع مما يعرضهن لفحش القول والكلمات البذيئة والنظرات الجائعة، وهو أمر لا يرضاه الله ولا رسوله ولا المؤمنون. والمفروض أنه بمجرد الانتهاء من العمل أو الدراسة أو الشراء أو حتى النزهة مع الصحبة الآمنة مع الصديقات، أن تعود المرأة فوراً إلى بيتها، فلا يراها أحد متسكعة متفرغة... فالفراغ والصحة نعمتان مكفورتان، أي تؤديان إلى المعصية. فعليك يا فتاتي بملء الفراغ واستثمار الوقت واستنفاد الصحة فيما يعود عليك وعلى أسرتك ومجتمعك بالخير الوفير، وهذا هو معنى قوله تعالى:

﴿وقرن في بيوتكن﴾.

(صور الاختلاط التي حذر منها رسول الله - ﷺ -)

هناك صور من الاختلاط حذر منها رسولنا الكريم - ﷺ - ويجب أن نحذرها ونحتاط أمامها. ومن هذه الصور:

١ - أخو الزوج أو أبوه (الحمو).

٢ - ابن الزوج أو قريبه.

٣ - سفر المرأة بمفردها.

٤ ـ تحريم الخلوة عموماً.

٥ ـ تحريم المبيت عند الثيب.

٦ ـ من غاب عنها زوجها.

٧ ـ من اعتكف في المسجد.

وتفصيل ذلك يتضح على النحو التالي:

١ ـ أبو الزوج أو أخوه

قال ﷺ:

«إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت»[١].

ومعنى الحديث كما في شرح سنن الترمذي: اتقوا الدخول على النساء ودخول النساء عليكم، ويتضمن منع الدخول منع الخلوة بأجنبية بالأولى، والنهي ظاهر العلة والقصد به غير ذات الأرحام.

وذكر الإمام الغزالي أن راهباً من بني إسرائيل أتاه أناس بجارية بها علة ليداويها، فأبى قبولها، فما زالوا به حتى قبلها يعالجها، فأتاه الشيطان فوسوس له فوقع عليها فحملت..

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر في كتاب السلام ـ باب تحريم الخلوة بأجنبية والدخول عليها حديث (٢١٧٢) جـ ٤ / ١٧١١.

فوسوس لـه.. الآن تفتضح فـأقتلها وقـل لأهلها إنهـا ماتت. فقتلها.. وألقى الشيطان في قلب أهلها أنه قتلها فأخذوه وحضروه فقال له الشيطان أسجد لي تنج. فسجد له. فانظر إلى حيلة الشيطان كيف اضطره إلى الكفر بطاعته له في قبوله للجـارية وجعلها عنده»(١).

ونعود إلى الحديث قالوا يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت. أي دخوله على زوجـة أخيه يشبـه الموت في الاستقباح والمفسدة. فهو محرم شديد التحريم. وإنما بالغ في الزجر بتشبيهه بالموت لتسامح الناس في ذلك.. وخرج هـذا مخرج قولهم الأسد الموت.. أي لقاؤه يفضي إليه، وكذا دخول الحمو عليها يفضي إلى موت الدين أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج أو برجمها إذا زنت معه(٢).

٢ ـ ابن الزوج أو قريبـه

وقد بالغ الإمام مالك في هذا الباب حتى منع كل ما يجر إلى التهم، كخلو امرأة بابن زوجها، وإن كانت جائزة إلا أن

(١) في كتاب الإحياء جـ ٢ . روي بسند إلى ابن عباس وهو من الاسرائيليات. واسم الرجل برصيصا الراهب. وكذا في مكائد الشيطان للمقدسي.

(٢) البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب لا يخلو رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ٩/ ٣٣٠، والأقوال في شرح «الحمو» يراجع فيها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٩/ ٣٣١-٣٣٢.

موقع امتناع الرجل من النظر بشهوة لامرأة أبيه ليس كموقعه منه لأمه. . هذا قد استحكمت عليه النظرة العادية. . وذاك أنست به النفس الشهوانية، والحمو أبو الزوج وقيل قريبه.

وقال النووي: اتفق أهل العلم باللغة على أن الأحماء أقارب الزوج كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه: «مما يحل لها تزويجه لو لم تكن متزوجة».

وقال الطبري: المعنى أن خلوة الرجل بامرأة أخيه وابن أخيه تنزل منزلة الموت.

وقال ابن عربي: هي كلمة تقولها العرب مثلاً، كما تقول: الأسد الموت أي لقاؤه فيه الموت،والمعنى إحذروه كما تحذرون الموت.

وكما قيل نعم الصهر القبر. . وهذا الأدق بكمال الغيرة والحميه.

وقال أبو عبيد: معنى قوله الحمو الموت. . أي فليمت ولا يفعل هذا.

وقال القرطبي: المعنى أن دخول قريب الزوج على امرأة الزوج يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة. . أي فهو محرم معلوم التحريم،وإنما بالغ في الزجر عنه وشبّهه بالموت لتسامح الناس به من جهة الزوج والزوجة.

٣ ـ سفر المرأة

قال ﷺ: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفراً يكون ثلاثة أيام فصاعداً إلا معها أبوها أو أخوها أو زوجها أو ابنها أو ذو محرم منها[1].

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسافر المرأة مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم». واختلف أهل العلم في المرأة إذا كانت موسرة ولم يكن لها محرم: هل تحج؟. قال بعض أهل العلم لا يجب عليها الحج لأن المحرم من السبيل، لقول الله عز وجل: ﴿لمن استطاع إليه سبيلاً﴾ فقالوا: إذا لم يكن لها محرم فلا تستطيع إليه سبيلاً،وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة، وقال بعض أهل العلم إذا كان الطريق آمناً فإنها تخرج مع الناس في الحج، وهو قول مالك والشافعي[2].

قال الإمام الشافعي: «لا يشترط المحرم بل يشترط الأمن على نفسها كالصحبة الآمنة في نسوة ثقات».

وفي هذه الأيام تقوم الجمعيات النسائية برحلات للحج والعمرة، كما تقوم بذلك بعض الهيئات وشركات السياحة، فما

---

(١) الترمذي ـ كتاب الرضاع ـ باب ما جاء في كراهية أن تسافر المرأة وحدها ٣/٤٧٣ وعقب عليه بقوله هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الترمذي ـ كتاب الرضاع ـ باب ما جاء في كراهية أن تسافر المرأة وحدها جـ٣ ـ ٤٧٢ ، ٤٧٣.

دامت الصحبة مأمونة والطريق مأمون فلا بأس. ولكني أهمس في أذن كل امرأة تقية ـ وذلك بعد أسفار عديدة قمت بها في صحبة مأمونة للغاية ـ أقول: ان وجود محرم أمر شديد الأهمية يكفينا شرور الخلق وشرور النفس ويعيننا على مجهود السفر الذي مهما كان فهو كما يقول النبي ﷺ: «السفر قطعة من العذاب»[1] ولا يخفف منه إلا وجود صحبة مأمونة، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «الرفيق قبل الطريق»[2]

٤ ـ تحريم المبيت عند الثيب (مطلقة أو أرمل)

قال ﷺ : «الا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرم»[3]. والمراد بالنكاح زوج المرأة يكون بالمنزل أو أحد المحارم. أما لماذا ذكر الثيب فيقول النووي: لأن البكر مصونة متصونة في العادة فلم يحتج إلى ذكرها. والمحرم كل من حرم عليه نكاحها.

٥ ـ من غاب عنها زوجها

قال ﷺ : «لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) أورده المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢٢٦/١ عن الطبراني من طرق كلها ضعيفة كما جاء في كشف الخفاء ثم قال: وكثرة طرقه تقويه وتجعله حسناً لغيره.

(٣) مسلم ـ كتاب السلام ـ بباب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها جـ ٤ / ١٧١٠ .

ومعه رجل أو اثنان»[1] والمغيبة هي التي غاب عنها زوجها من منزلها سواء غاب عن المنزل وإن كان في البلد أو غاب عن البلد بأن سافر.

تحذير من بعض صور الاختلاط المعاصر

هذه هي صور وحالات الاختلاط التي حذرنا منها رسول الله ﷺ.. إلا أني أحب أن أعرض تبعاً لها بعض صور وحالات من الاختلاط يخشى منها على الأسرة في هذا الزمان، وإليك بعض الأمثلة:

١ ـ الجار الذي يجرح المنزل من كافة الجوانب أو الكثير التردد على الأسرة.

٢ ـ المدرس الخاص الذي يقضي وقتاً طويلاً منفرداً بالطالبة أو التلميذة.

٣ ـ الأستاذة مع تلميذها.

٤ ـ صديق العائلة الذي يعرف أسرار العائلة والمنزل.

٥ ـ من لا خوف منهم كالسائق والخادم والسكرتير الخاص.

---

(١) مسلم ـ باب السلام ـ باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها جـ ٤ / ١٧١١.

٦ ـ زميل العلم أو العمل، والذي ترفع الكلفة بينه وبيننا رويداً رويداً.

٧ ـ القريب أو النسيب الذي تنكشف عليه المرأة لكثرة تردده.

هذه صور من الاختلاط المعاصرة التي تتعرض لها بعض الأسر، ونحن لا نعني بذكرها أن نتجنبها أو نمتنع عنها تماماً لأن الحياة تفرضها علينا، ولكن يجب الحذر والحيطة واليقظة... والشك أزكى الفطن.. والأمور لا تترك على سجيتها لا من رب الأسرة المسؤول أمام الله، ولا من الزوجة الراغبة في الحفاظ على الأسرة، ولا من الفتاة التي يجب أن تحرص على مرضاة الله ورسوله، فلا يسوغ نهائياً رفع الكلفة. ورفع الكلفة باختصار شديد يتمثل في النقاط التالية التي لا تحتاج إلى اسهاب:

أولاً : السماح لغير المحرم بالتردد على البيت في أي وقت خطأ.

ثانياً : دخول أماكن لها حرمة في نظر الإسلام كحجرة النوم خطأ.

ثالثاً : الظهور بملابس النوم العارية أو الكاسية العارية خطأ.

رابعاً : التحدث في أسرار المنزل أو داخليات البيت أو العلاقة الزوجية الخاصة مع الأغراب خطأ.

خامساً: السماح بالخلوة أي جلوس الرجل مع المرأة في

حجزة مغلقة خطأ.

لأن نبينا محمد ﷺ، قال:

١ ــ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء[١].
٢ ــ لا يخلون رجل بامرأة إلا ذي محرم[٢].
٣ ــ إياكم والدخول على النساء[٣].
٤ ــ لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان[٤].
٥ ــ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[٥].

وما دام رسولنا ﷺ قد قال فقد صدق، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.. ومن يضرب بكلام سيد المرسلين عرض الحائط فلا يلومن إلا نفسه حين يقع في المصيبة.

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾[٦] صدق الله العظيم.

---

(١) سبق تخريج الحديث.
(٢) سبق تخريج الحديث.
(٣) سبق تخريج الحديث.
(٤) سبق تخريج الحديث.
(٥) سبق تخريج الحديث.
(٦) الحشر: الآية ٧.

امتحان صعب

وفي هذه الأيام نجد الطالب يدخل على زميلة له في منزلها ليذاكر معها.. فالنية أولاً وآخراً هي المذاكرة لدى الطرفين، والأهل لا يدرون أن الزميل وزميلته على شفا حفرة من النار.. لأن المرأة هي المرأة مهما تعلمت وتثقفت لا تفقد خصائصها وهي الميل إلى الأصل أي الرجل والرغبة فيه. والرجل هو الرجل مهما تعلم وتدين، فخصائص الذكورة تميل إلى الأنثى وتشتهيها.. فكيف بالله نسمح أن نضع أولادنا في هذا المأزق؟ ستقول الفتاة أنا واثقة من نفسي!! وأقول لها وأنا واثقة فيك.. ولكن ان لم تميلي أنت إليه، فمن الممكن أن يميل هو إليك.. أليس كذلك؟ فالأفضل أن نسد هذا الباب، وعلى كل طرف أن يذاكر في منزله منفرداً أو في جماعة، ويا حبذا لو كانت من نوع واحد، خصوصاً في السهر ليلاً، وقد قرأنا منذ قليل الأحاديث الخمسة المروية عن رسول الله ﷺ، وكلها توضح خطورة الاختلاط وآثاره الضارة. وعلينا أن نطيع الرسول الكريم ففي طاعته الهداية والكفاية: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[1].

---

(١) سورة النور: ٥٤.

«لقـاء المتعب»

في هذه الأيام نجد الزوج المشغول بعمله ليل نهار كالطبيب الناجح أو المحامي المشهور أو التاجر الكبير.. يستغرقه العمل ويشغله النجاح عن واجب من ضمن الواجبات المفروضة عليه، وهو الزوجة التي تتمنى أن يعود زوجها بعد الظهر ليأكل معها، ولكنها لا ترى الزوج في هذا الموعد، فتصبر، ولا حيلة لها إلا الرضا فهذا ما قسمه الله لها. ثم يأتي المساء فتتناول طعام العشاء وحدها، وهي قانعة أنه لا حل لها إلا هذا، ثم تظل قلقة وحيدة في فراشها إلى ساعات متأخرة من الليل الطويل البارد تتقلب على وسادتها تنتظر زوجها الذي تحبه ولا تريد سواه. ثم يعود الزوج المتعب مجهداً مستنفداً طاقته، فيكون اللقاء ـ لقاء المتعب ـ لقاء غير مشبع لنفسها التواقة، أو عقلها المنشغل به أو روحها الميالة إليه أو جسدها الراغب في الارتواء.. والارتواء ليس فقط كما يظن الكثيرون هو ارتواء جسدي فقط، ففي هذا اللقاء لا بد من ارتواء النفس والروح والجسد معاً.. ولكن هيهات لها..

وتتكرر الليالي، وتغرق الزوجة نفسها، إما في العمل حتى تتوازن مع الزوج أو في الأبناء أو في هواية ما. ثم تسمح بحسن نية لشخص ما أن يتردد عليها، قد يكون قريب الزوج أو قريباً لها

أو جاراً مثقفاً يشبع عقلها، أو زميل عمل أو صديقاً له نفس الهواية والاتجاه الذي للزوجة...

وفي بادىء الأمر ستحرص الزوجة ألا تُرى بملابس النوم الشفافة المغرية، وهو أيضاً سيرعى الله فلا يرفع عينه خطأ، فهو حين دخل هذا البيت لا يضع في نيته الخراب، والعياذ بالله، وأيضاً هو رجل متدين لا يمد عينيه إلى ما متَّع الله به زوجاً آخر.. ولكن مع كثرة التردد والتودد سيبدأ التساهل شيئاً فشيئاً في الجلسة والمشية والضحكة، ولا حذر.. فإنه أصبح صديق العائلة الموثوق به...

ولكن يا سيدتي مع طول الجلسات واختلاف الأجواء وتغير الحالات يسمح لنفسه بالكلمة المجاملة والنظرة المستحسنة والتعبير المعجب، ثم يرفع عينيه ليعطيك الرأي في الفستان أو ما شابه ذلك، وتستمرئان معاً النظرة، وتستسهلان معاً المداعبة التي أنت في حاجة إليها...

ومع ذلك فأنت لا زلت واثقة من نفسك وتربيتك وخلقك ودينك وعفتك، وتعرفين كيف توقفين كل من تسول له نفسه بشيء عند حدّه، وزوجك يثق فيك، والشاب المتردد يثق فيكما كما يثق في نفسه...

ولكن كثرة اللقاء، وقرب الأنفاس، واتفاق الأمزجة، والمتعة الذهنية المشتركة، والرأي الواحد، والتقارب والتفاهم، كل هذا يحقق الراحة ويشبع النفس، فأنت تستريحين له وهو يطمئن إليك

حتى أنه قد يسلم إليك حرية اختيار زوجة المستقبل.

ثم ماذا يكون يا مسكينة؟

تتفق الأهواء والميول.. وتميلين إليه من حيث لا تدرين، ويميل هو إليك من حيث لا يقصد،ويتسلل الشيطان في لفتة أو نظرة أو تنهيدة أو ابتسامة خجلى جريئة.. ثم ترفع الكلفة بالكلمة العارية والافصاح الملتهب، ويدب السوس وتتهدم البيوت!!.

سيدتي إصغي إلى أحاديث الرسول ﷺ، التي سبقت الإشارة إليها:

١ ــ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.

٢ ــ لا يخلون رجل بامرأة إلا ذي محرم.

٣ ــ إياكم والدخول على النساء.

٤ ــ لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان.

٥ ــ ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[١].

فلا بد يا أختي المسلمة من الحذر، ولا بد من الطاعة:

﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله،ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾[٢].

---

(١) سبق تخريج الأحاديث الخمسة.

(٢) النساء: ٨٠.

﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾[1].

صديق المبدأ والقضية

أعرف سيدة وقوراً كانت متزوجة من رجل يكبرها بثلاثة وعشرين عاماً. كانت تقول لابنتها إنها تجلس أحياناً مع رجال يكونون قريبين منها في السن لائقين في المظهر، وحين تشعر بسعادة في هذه الجلسة لا تكررها ثانية وتتجنب الجلوس نهائياً.. وأخذت الفتاة بنصيحة الأم العاقلة ووضعتها نصب عينيها ثم شاءت الأقدار أن تتزوج رجلاً من محبي جلسات الخمر، فكان يتركها كل ليلة ليذهب مع أصدقاء السوء يلهو معهم حتى ساعات متأخرة من الليل، وحاولت الزوجة الحسناء أن تغيّر من الزوج، ولكن بلا جدوى، فأغرقت نفسها في العلم ودرست طويلاً حتى نالت درجة الدكتوراه، وكان كلما أعجبها رجل تجنبت رؤيته مرة ثانية.

ولكنها وقعت من حيث لا تدري. فقد سمحت لأحد الطلبة الذين يدرسون على يديها بالتردد الدائم عليها.. كان الطالب - وكان صغير السن - غير حسن الشكل من وجهة نظرها.. فلم تر خطراً على الاطلاق، ولا بأس من الاختلاط، وتوطدت العلاقة على مرأى ومسمع الزوج الغارق في شلة الأنس والأبناء الصغار

---

(١) النساء : ١٤.

الذين أحبوا الشاب الذي ملأ الفراغ الناشىء عن انصراف الأب إلى غير رسالته. وتخرج الشاب، وفرحت الزوجة وشعرت بأنه أصبح رجلاً، بل أحست أنها شاركت في صنع هذا النجاح والتوفيق، فازدادت حباً له وقرباً منه، وأنست إليه ورفعته إلى مستواها في الغمر، ولم تدر المسكينة أنه أصبح يشكل في حياتها وجوداً كبيراً، وأنه ملأ خلال السنوات فراغاً هائلاً تركه الزوج المدمن.

وبدأ الشاب يبحث عن عروس له، واشتركت الزوجة في اختيار العروس.. وانشغل الشاب بعروسه، ووجدت الزوجة نفسها ضائعة تائهة، صاحبة ليل طويل بلا سمير ولا أنيس، فقد ذهب الصديق.. صديق فكرها وعقلها وروحها، وجليسها وأنيسها .. من تستريح إليه، وتثق به، ودبت الغيرة في نفسها واستكبرت أن تتسول لقاءه ولو مع خطيبته، وهرعت إلى زوجها، فلم تجده، وحاولت قدر طاقتها إغراءه بالجلوس معها، ولكن الزوج كان قد مرض بالإدمان، وساءت صحته، بل تعب عقله ووقف فكره، ومات إحساسه، فأخبرته بما تعانيه، فلم يحرك ساكناً. لقد أصيب بالبلادة، وفقد الاهتمام بكل شيء إلا بداء ليس له دواء..

وكم كان الصراع.. وكم كان الألم.. وحاولت المسكينة أن تعوض هذا الفقدان الرهيب مع أناس آخرين أسفروا لها منذ

اللحظة الأولى عن سوء نواياهم فهربت المسكينة، ولولا أن تداركتها رحمة الله لكانت من الهالكين.

وشعرت بشدة الحاجة إلى رفيق مبدئها وقضيتها وتلميذها، فقررت أن تسترجعه إليها وتخلصه لنفسها فانتزعته بسهولة من خطيبته الصغيرة، قليلة التجارب وطالبت بالطلاق!!

حطمت كل شيء، وهدم البيت، وطعن الزوج، وتركت الأولاد في سن خطرة، وتزوجت الشاب الذي يصغرها بخمسة عشر عاماً، ولكنه له نفس الميول والرغبات، فهو صاحب المبدأ والقضية، وتساءل الناس كيف هذا وهي المتزنة العاقلة؟ كيف هذا وهي التي وصلت إلى أعلى درجات العلم؟ كيف بعد عشرين عاماً من الزواج والصبر والمثالية؟

أقول لها ولكل السيدات والأخوات المسلمات، لقد حذرنا نبينا الحريص علينا الرحيم بنا قائلاً:

١ ــ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.

٢ ــ لا يخلون رجل بامرأة إلا ذي محرم.

٣ ــ إياكم والدخول على النساء.

٤ ــ لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان.

٥ ــ ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[1].

فلماذا العناد والمكابرة والاصرار على الخطأ؟

---

(١) سبق تخريج الأحاديث.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾[1].

«اللامعقـــول»

وأذكر قصة أخرى لطبيب مرموق من عائلة عريقة اختار ممرضة تعينه على قدر من دمامة الخلقة (أستغفر الله) وسمح لها أن تلازمه بصفة دائمة لاطمئنانه إلى أنه لا يأتي منها أي خطر على نفسه وبيته، وأيضاً اطمأنت الزوجة لذلك، ولكن الفتاة البسيطة الحال القليلة الجمال أعجبت بالطبيب، وبسبب ملازمتها له ملأ عليها وقتها ونفسها بعلمه وجهاده وتفانيه فأحبته في صمت وما طمعت في شيء، غير أنها وجدت نفسها مع طول العمل لا تقتنع بأي رجل متواضع العلم والعطاء.. فلم تتزوج وظلت بجوار الطبيب تعمل بمنتهى الاخلاص والاتقان متلهفة على راحته تمضي معه الساعة تلو الساعة دون ملل أو تعب، وتوطدت العلاقة بينهما. وأصبح الطبيب لا غنى له عن ممرضته - يده اليمنى - وكاتمة أسراره ومعينته الأولى. ثم حدث بعد عشر سنوات ما يحدث في أي بيت سعيد من حالة طارئة تتمثل في

---

(١) التوبـة : ١٢٨.

الملل وما يشبه النفور بين الزوجين، ففضل الزوج الاقامة في عيادته بعيداً عن «دوشة الدماغ» وتعب القلب،مطمئناً إلى خدمة ممرضته واخلاصها، ولكنـه فوجىء ذات ليلة بهـا تفصح عن عواطفها خلال السنوات العشر، وآلامها، وامتناعها عن الزواج.. ثم شهرت في وجهه سلاح الضعف والحاجة وعدم الاستغناء عنه، والصبر بما قسم الله لها، ومعرفتها أنها لا تليق به شكلاً ولا موضوعاً!. وهذا السلاح ماض في قطعه، ما أن تشهره امرأة إلا وكان أشد قطعاً من سلاح الجمال والأنوثة والمال. لأن الرجل يحب أن يشعر بأنه يقوم بحماية امرأة ضعيفة في حاجة ماسة إليه، وبمرور الوقت أشفق عليها الطبيب، وأحس بعدم إمكانه الاستغناء عنها.. لان قلبه، ومال عقله، وفي لحظة ضعف تزوج الممرضة، وبعد فترة علمت الزوجة، فكان الطلاق والخراب وتشتت الأبناء؟.

لماذا ؟ وكيف تم هذا اللامعقـول؟

أقول لأننا فهمنا كلام رسول الله - ﷺ - خطأ، فرسولنا لم يمنعنا من الاختلاط بكل من يتمتع بحظ وافر من الجمال أو الشباب فحسب.. بل جاء التحذير من الإختلاط بالنساء عامة..

---

١ ــ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.

٢ ــ لا يخلون رجل بامرأة إلا ذي محرم.

٣ ــ إياكم والدخول على النساء.

٤ ـ لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان.

٥ ـ إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم(١).

وصدق رسول الله ﷺ ـ إذ يقول:

«إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم،وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه»(٢).

وصدق الله العظيم:

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾(٣).

ونختتم هذا الفصل الخاص بالاختلاط بقول رسول الله ﷺ:

«الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإنّ لكلّ ملك حمى، ألا إنّ حمى الله محارمه، إلا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله. ألا وهي القلب»(٤).

وفي مقدمة رسالة الماجستير «اتقاء الشبهات» للدكتورة سهير بكري عبد السميع قالت:

---

(١) سبق تخريج هذه الأحاديث.

(٢) البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه (واللفظ لابن ماجه).

(٣) النور : ٦٣.

(٤) أخرجه أصحاب الكتب الستة ويراجع فيما سبق.

الأحكام تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الحلال بين.. والحرام بين .. والثالث هو: المتشابه.
فالحلال واضح ولا يعذر أحد بجهله، وكذلك الحرام.

أما الشبهات فهي التي خفي أمرها على كثير من الناس حتى ضلوا.. ولم يستطيعوا أن يميزوا بين حلالها وحرامها. إلا القليل من العلماء المجتهدين المتقين، فهم الذين يعلمون حكمها، ومن هنا، قال رسول الله ﷺ: «لا يعلمها كثير من الناس.. أمِنَ الحلال هي أم من الحرام؟» وما أكثر هذه المسائل في يومنا هذا والتي تحيَّر في أمرها الكثير من الناس فظلوا يتخبطون فيها يميناً وشمالاً بين محلل ومحرم.

وعلى كل حال، فقد قال ﷺ:
«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».(١)
وقال عليه الصلاة والسلام:
«لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس»(٢).

—— . . . . —— . . . . ——

(١) الترمذي وابن حبان باسناد قوي.
(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد.

الزي الشرعي

ما دمنا قد تحدثنا عن الاختلاط، وقد علمنا أن الإسلام لا يحرّم تواجد النساء بأماكن يتفق أن يكون بها رجال تواجداً مشروطاً بالأدب وحسن المعاملة والاحترام المتبادل وغض البصر والمظهر الذي يوحي بالاحترام والالتزام وعدم التبرج وعدم الخضوع بالقول... فلا بد من تحديد شكل ومواصفات الزي الإسلامي. وقد ذكر شكل الزي في خمسة مواضع من القرآن الكريم، وقبل أن نتعرض لهذه الآيات سنذكر هذه الآيـة:

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يـواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم يذَّكَّرون﴾[1].

إذاً ، شرع اللباس ليواري السوءات المكشوفة والعورات، ثم يكون زينة بهذا الستر وجمالاً بدل قبح العري وشناعته، ولذلك يقول: أنزلنا أي شرعنا لكم في التنزيل.. واللباس قد يطلق على ما يواري السوأة وهو اللباس الداخلي ، وقد

---

(١) الأعراف : ٢٦ ، والريش.. أي الخير (المصباح المنير).

يطلق على ما يواري الجسم كله، ويُتجمل به وهو ظاهر الثياب، ثم لباس التقوى الذي يصفه رب العالمين بأنه خير.

قال عبد الرحمن بن أسلم:

«ويتقي الله فيواري عورته فذاك لباس التقوى». . ونحن نعلم أن بدن المرأة عورة إلا الوجه والكفَّين، والله يذكِّر بني آدم بنعمته عليهم في تشريع اللباس صيانة لإنسانيتهم من أن تتدهور إلى عرف البهائم[1].

ونعود إلى كلام الله الذي حدَّد فيه مواصفات الزي الإسلامي؛ وأرجو الله أن تحفظ كل مسلمة هذه الآيات لتتمكن من الاستشهاد بها عندما يسألها الناس:

١ ـ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جيوبهن﴾[2].

٢ ـ ﴿ولا يَضْرِبْنَ بأرجلهن لِيُعْلَمَ ما يُخفينَ من زينتهن﴾[3].

٣ ـ ﴿ولا تبرَّجْنَ تبرُّجَ الجاهليةِ الأُولى﴾[4].

٤ ـ ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسْألُوهُنَّ مِن وراء حجاب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾[5].

---

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ ص ١٢٧٨.

(٢) النور : ٣١ .

(٣) النور : ٣١.

(٤) الأحزاب : ٣٣.

(٥) الأحزاب : ٥٣.

٥ ـ ﴿يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ وكان الله غفوراً رحيماً﴾[1].

وفيما يلي شرح الآيات الكريمة:

١ ـ ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾:

يقول ابن كثير: الخمر: جمع خمار، وهو ما يخمر به.. أي يغطى به الرأس...

﴿وليضربن ﴾: معناه: ليشددن ﴿بخمرهن على جيوبهن﴾ يعني على النحر والصدر فلا يرى منه شيء، وسبب نزول هذه الآية والتي تبدأ بقول الله تعالى:

﴿وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبصارهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ، ولا يبدين زينتهنَّ إلا ما ظَهَرَ منها، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ على جيوبهن ولا يبدين زينتهن..﴾ الآية.

يقول ابن كثير: «كان سبب نزول الآية ما ذكره مقاتل ابن حيان: بلغنا والله أعلم أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أسماء بنت مرثد وكانت في محل لها في بني حارثة، فجعل النساء يدخلن عليها غير مؤتزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا، فأنزل الله

(١) الأحزاب: ٥٩.

تعالى هذه الآية[1]. ولو تأملنا معاً الآية السابقة لهذه الآية: ﴿قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ لوجدنا الله سبحانه ألزم الرجال بغض البصر، بينما ألزم النساء بغض البصر ووضع الخمار.

معنى ﴿إلا ما ظهر منها﴾

يقول الله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ أي إلا ما ظهر بغير قصد منها ـ قال بعض العلماء[2]: المقصود منها:

١ ـ الثياب الظاهرة.

٢ ـ الوجه والكفّان.

٣ ـ الكحل: يقول الزمخشري: لا بأس بإبدائه للأجانب على ألا يكون مثيراً للفتنة.

٤ ـ الخضاب (الحناء) لأن ستره فيه حرج (في اليد والقدم لحاجتها إلى السير).

٥ ـ الخاتم والسوار والعقد.

٦ ـ الشعر الشديد القرب من الوجه كالسوالف أو الشعر المنتشر عند بعض السيدات في الجبهة، فأحل العلماء ظهور هذه الأشياء لغير المحارم.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤.

(٢) يوسف القرضاوي ـ الحلال والحرام في الإسلام.

أما المحارم فإن الله تعالى حدد بدقة هؤلاء الناس الذين يمكن أن تظهر المرأة سافرة حاسرة الرأس متخففة إلى حد محدود.

يقول تعالى : ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء[1]﴾.

ويفهم من هذه الآية أن للمرأة أن تظهر سافرة أمام:

١ ــ زوجها.

٢ ــ أبيها.

٣ ــ أبي الزوج.

٤ ــ أبنائها.

٥ ــ أبناء زوجها،لأن زوجة الأب كالأم.

٦ ــ إخوانها.

٧ ــ أبناء أخيها

٨ ــ أبناء أختها.

٩ ــ النساء المتصلات بهن نسباً أو ديناً.

أما المرأة غير المسلمة فلا يجوز لها أن ترى من زينة

---

(١) النور : ٣١.

المسلمة إلا ما يراه الرجل على الصحيح.

١٠ ـ أو ما ملكت أيمانهن (العبيد والجواري لأنهم من أعضاء الأسرة).

١١ ـ التابعين غير أولي الإربة من الرجال (أي الاتباع غير ذي شهوة أي فاقدي الرغبة الجنسية).

١٢ ـ (الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء).

أي تحت سن الإدراك والبلوغ، أما إذا لوحظ عليهم تغيير جنسي، احتجبت المرأة أمامهم، وهكذا نرى كيف أسهب القرآن في تحديد من تظهر أمامهم المسلمة غير متحجبة أي سافرة. وذلك يدل على أهمية الحجاب للمرأة ومدى صون الإسلام لها ولعفتها...

(الحكمة في تحريم خلع المسلمة ملابسها أمام غير المسلمة)

قال ابن كثير في شرح معنى «أو نسائهن» يعني تظهر المسلمة زينتها للنساء المسلمات دون أهل الذمة لئلا تصفهن لرجالهن، وذلك إن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد، فإنه لا يمنعهن في ذلك مانع. أما المسلمة، فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه اهـ.[1]

---

(١) ابن كثير : ٣ / ٢٨٤.

(الحمامات الجماعيــة)

قال ﷺ : «لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[1].

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة.. أما بعد: «فقد بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك، ثم أمره أن ينهى المسلمات عن ذلك فقال: إنه «بسكون النون وفتح الهاء» من قبلك «بكسر القاف وفتح اللام» فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ذمتها من النساء».

يفهم من ذلك أن الإسلام دين الحياء ودين الستر فلا يصح أن تسمح المرأة لنفسها أن تنظر إلى عورات الأخريات، وإذا وقع نظرها على عورة أخت لها فيحرم عليها أن تصف جسدها وعوراتها لمن هو قريب منها. لذلك يجب الحيطة من هذا الأمر بقدر المستطاع والله أعلم.

٢ ـ ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾[2].

وبقية الآية تدل على أن النساء يجب عليهن أن يسترن

(١) البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها ٩/٣٣٨.
(٢) النور : ٣١.

أرجلهن أيضاً. وقيل أنه يقصد اخفاء الخلخال.. وفي هذا الزمان لا يوجد خلاخيل ولا تتزين بها المرأة، ولكن يفهم منها أنه يجب عليها اسدال الملابس حتى لا يرى محل خلخال الساق. ولا عجب فموضع خلخال الساق يقيس منه بعض الرجال مدى أنوثة المرأة!! ونرى كثيراً من الرجال ينظرون في المرأة أولاً نهاية ساقيها.. والله عليم خبير، يعلم في الرجال هذه النظرة، فأمر المرأة بستر ساقيها وقدميها أيضاً[1].

٣ ـ ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[2].

ما هو تبرج الجاهلية الأولى؟

ـ في تفسير ابن كثير قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال فذلك تبرج الجاهلية.

ـ وقال قتادة: إذا خرجن من بيوتهن كانت لهن مشية تكسر وتغنج، فنهى الله عن ذلك.

ـ وقال مقاتل بن حيان: التبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله

---

(١) بعض الرجال يهتمون بقدم المرأة وأصابع أرجلها فيطيلون النظر، ويقيّمون الأنوثة من أصابع أرجلها.. عجبي!! يقول القرطبي: الزينة على قسمين خلقية ومكتسبة، فالخلقية وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة.. أما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة من تحسين خلقتها كالثياب والحلي والكحل والخضاب، ومنه قوله تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

منها وذلك تبرج الجاهلية الأولى.

ـ ويقول العلامة الزمخشري في الكشاف: كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها، وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة.

والخلاصة أن تبرج الجاهلية الأولى ذكر لأن المرأة كانت لا تحكم الخمار فينكشف جزء من رقبتها وجزء من شعرها مع وضوح حجم الصدر والخصر...

فأتى الإسلام وأمرها بإطالة الجلباب وإحكام الخمار واسداله على الصدر إن كان الجلباب غير فضفاض. يقول المفكر الإسلامي محمد ناصر الدين الألباني في كتابه «حجاب المرأة المسلمة في الكتاب والسنّة»: لقد بالغ الإسلام في التحذير من التبرج إلى درجة أنه قرنه بالاشراك والزنا والسرقة وغيرها من المحرمات، وذلك حين بايع النبي ﷺ النساء على ألا يفعلن كذا وكذا فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه:

«جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال: أبايعك على ألا تشركي بالله شيئاً ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى»[1]..

---

(١) أحمد: ٢/١٩٦.

٤ ـ ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾[١].

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز[٢] في شرح هذه الآية في معرض الحديث عن الزي الإسلامي في كتاب «التبرج»: «في الآية الكريمة نص واضح على وجوب تحجب النساء عن الرجال وتسترهن منهم، وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن التحجب أطهر لقلوب الرجال والنساء وأبعد عن الفاحشة وأسبابها لضمان عدم تلوثها بانفعالات الهوى في غير موضعها المشروع النظيف».

ورب سائل يسأل فيقول: ولكن الحديث موجه لنساء النبي فما للمسلمات الآن وهذه الآية: وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب. . .؟

يقول سيد قطب «في الظلال»: إن الله يقول هذا عن نساء النبي الطاهرات: أمهات المؤمنين وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ﷺ ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق، فنحن أولى في هذا الزمان بهذه الآية الكريمة التي تحفظ المرأة

---

(١) الأحزاب : ٥٣.

(٢) الشيخ عبد العزيز بن باز من خيرة علماء الدين في السعودية، ومن كبار مؤسسي رابطة العالم الإسلامي ويرجع إليه الفضل في المحافظة على روح الالتزام بالإسلام في المملكة العربية السعودية.

وتلتزمها وتحميها، والواقع الملموس يهتف بصدق الله وكذب المدعين غير ما يقول الله[1].

٥ ـ ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ وكان الله غفوراً رحيماً﴾[2].

ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أمر بإطالة الثوب. يقول ابن كثير: «يقول الله تعالى آمراً رسوله ﷺ: أن يأمر نساء المؤمنين وخاصة أزواجه وبناته لشرفهن أن يدنين عليهن من جلابيبهن ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء...»[3].

قال السدي في قوله تعالى: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن.. الآية قال: كان أناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طريق المدينة فيتعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإن رأوا المرأة عليها جلباب، قالوا: هذه حرة فكفّوا عنها. وإذا رأوا المرأة ليس

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.
(٢) الأحزاب: ٥٩.
(٣) ابن كثير: ٢/٤٨٢-٤٨٣.

عليها جلباب قالوا: هذه أمة فوثبوا عليها.

﴿ ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾.

ومعنى هذا الجزء من الآية، أن المرأة التي تخرج من بيتها وتسير في الشوارع لقضاء حاجتها ملتزمة بالزي الإسلامي فإن كل عين تقع عليها تدرك أنها مسلمة ملتزمة عفيفة، فيعرفونها فلا تتعرض لفحش القول أو جرأة النظرة، وإن حدث والتقت بفاجر، فإنه لا يسترسل معها فيما يجرحها ويخدش حياءها وذلك عكس ما تتعرض له السافرة من القول والفعل الذي يؤذي نفسيتها ويجرح كرامتها وكبرياءها.

«أقوال الرسول ﷺ»

«في شكل الزي الشرعي»

أما السنة النبوية فنذكر منها:

قول عائشة : أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ - وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها، وقال:

. . «يا أسماء إذا بلغت المرأة المحيض لم يصلح أن يرى منها غير هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه»[1].

---

(١) أبو داود: كتاب اللباس - باب فيما تبدي المرأة من زينتها جـ/ ٤ / ٣٥٧ - ثم قال: هذا مرسل، خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها.

وقال ﷺ :

«سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات»[1].

ويفهم من هذين الحديثين الكريمين أنّ مواصفات الزي الشرعي هي:

١ ـ أن يستر البدن كله إلا الوجه والكفين.

٢ ـ أن يكون فضفاضاً غير ملتصق بالجسد.

٣ ـ أن يكون سميكاً حتى لا يشف ما تحته.

٤ ـ ألا يكون مبالغاً في زينته وزركشته.

ـــ ... ـــ ... ـــ

---

(١) مسلم ـ كتاب اللباس والزينة ـ جـ ١٩٠/١٧ (المطبعة المصرية) قال ابن حجر: اختلف في المراد بقوله «كاسيات عاريات» على أوجه:

أ ـ كاسية الدنيا بالثياب لوجود الغنى، عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا.

ب ـ كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها فتعاقب في الآخرة.

جـ ـ كاسية من نعم الله، عارية من الشكر الذي تظهر ثمرته في الآخرة بالثواب.

الزينـــة

يقول الله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[1].

ويقــول أيضــاً:

﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾[2].

ومعنى هاتين الآيتين الكريمتين: أن الله تعالى يقول منبهاً: يا بني آدم البسوا أفضل ثيابكم وأطهرها عند الاجتماع بالله وبالناس، ثم قرن الله تعالى هذا الأمر بالأكل والشرب والتحذير من الاسراف. وهذا يدل على أن عدم الاسراف في الزينة مطلوب، أي أن المطلوب هو الوسطية والاعتدال في أخذ الزينة.

---

(١) الأعراف : ٣١ .

(٢) الأعراف ٣٢.

والنفس بطبيعتها لا تستريح للإنسان المنمق المغالي في التأنق، كما لا تستريح للإنسان المهمل المهلهل ذي المظهر الحقير. فخير الأمور الوسط.

ويقول ﷺ:

كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة»[1].

وروى ابن عباس أنه ﷺ قال:

«كل ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان: سرف ومخيلة»[2]، وفي رواية: «.... ما أخطأتك».

ويفهم بعض المسلمين خطأ أن التنبيه على عدم المغالاة معناه أن الإسلام ضد الزينة والتزين والجمال.. ونقول لهم: لا.. فالمتأمل لكل مخلوقات الله على الاطلاق يلحظ كماً هائلاً من الجمال والذوق والتنسيق والانسجام ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾[3]، و«إن الله جميل يحب الجمال»[4].

تقول الدكتورة بنت الشاطىء:

«وليس صحيحاً ما يغلب على الظن من أن العناية بالمظهر

---

(١)، (٢) البخاري ـ كتاب اللباس ـ باب قول الله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ ١٢/٣٦٥.

(٣) النمل: ٨٨.

(٤) مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب تحريم الكبر وبيانه ـ طبعة دار إحياء التراث العربي جـ ١/٩٣.

لباساً وزينة يجافي شخصية المسلم،وما يجافيها فيما تعلمت من الكتاب والسنّة إلا الترف والسرف والتبرج والخيلاء، فإذا اتّقاها المسلم فلا حرج عليه في أن يعنى بمظهره ويأخذ زينته تجملاً وتهذيباً، فكل طيب حلال ونعمة وكل خبيث حرام ونقمة»[1].

وفي صحيح مسلم عن عروة أن العرب كانت تطوف عراة إلا الحمس وهم قريش فلما بعث الله رسوله ﷺ أنزل عليه: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ فأذن مؤذن الرسول ألا لا يحج البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، وكان النداء بمكة سنة تسع»[2].

أنـــواع الزينـــات:

ـ قال عطاء وأبو روق: تسريح اللحى وتنويرها بـالمشط والترجيـــل[3].

ـ قيل التزين بأجمل اللبـاس في الجمع والأعيـاد (ذكره الماوردي).

ـ وقال أيضاً: الزينة هنا الثياب الساترة، ويدخل فيها ما كان من الطيب للجمعة، والسـواك وبذل الثيـاب وكل مـا أوجدوا استحسانه في الشريعة ولم يقصد به الخيلاء،وأخذ هذه الزينة عند

---

(١) د. بنت الشاطىء ـ الشخصية الإسلامية (دراسة قرآنية).

(٢) مسلم ـ كتاب الحج ـ باب في الوقوف ـ ٢/٨٩٣ ـ ٨٩٤.

(٣) ابن حيان ـ تفسير البحر المحيط.

كل مسجد أي عند كل موضع سجود[1].

لا تسرفوا :

وقال الزمخشري: خذوا زينتكم أي زيشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد. ولا تسرفوا:

قال ابن عباس : الإسراف الخروج عن حد الاستواء.

وقال أيضاً: لا تسرفوا في تحريم ما أحلَّ الله لكم[2].

ويفهم من ذلك أن تحريم الحلال إسراف لأن الله تعالى يقول:

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[3].

ومعنى الاستفهام هنا انكار تحريم هذه الأشياء وتوبيخ محرِّمها. فمن ينادي بتحريم الزينة على الناس نقول له: لا رهبانية في الإسلام، فالإسلام دين ودنيا.

ويفسر الشهيد «سيد قطب» في الظلال قوله تعالى: ﴿ولا تسرفوا﴾ أي لا تسرفوا في تحريم ما لم يحرم عليكم، فالاسراف يكون بتجاوز الحد، كما يكون بتحريم الحلال، كلاهما تجاوز للحد.

---

(١)، (٢) ابن حيان ـ تفسير البحر المحيط جـ ٤/٢٨٩ ـ ٢٩٠.
(٣) الأعراف : ٣٢.

حسن المظهـــر

يقول الله تعالى: ﴿وصوَّركم فأحسن صوركم﴾[1].

ويقـول ﷺ : «إن الله يحب أن يـرى أثـــر نعمتـه على عبده»[2].

وكتب السيـــرة تؤكد أن رسول الله ﷺ -على فرط تواضعه كان يتجمل في لباسه ومظهره. ويحب لأصحابه أن يفعلوا ذلك، وفي «فيض القدير» شرح الجامع الصغير للعلامة المنياوي، قال:

«أحسنوا ما تلبسونه من ازار ورداء أو قميص. أي نظفوه واجتنبوا المبالغ من الخشونة وأصلحوا رحالكم، أي أثاثكم أو سروجكم التي تركبون عليها،والمراد كونوا في أصلح زي وأحسن هيئة حتى تظهروا في الناس يرونكم، فبالتوقير والاكرام والاحترام كما تستملحون بالشامة (النجم) لئلا تحتقروا في أعين العـوام والكفار فيزدريكم أهل الجهل والضلال».

وسنتنـاول كـل مـا تعشق المرأة وتميـل إليـه من أنـــواع الزينـــات:

—— .... —— .... ——

(١) التغابـن: ٣.

(٢) رواه الترمذي وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً. راجع كشف الخفاء ٢٨٧/١.

١ ـ «الألـــوان»

لا أعرف نصاً قرآنياً ولا حديثاً نبوياً يحرم لبس الألوان أو يفرض لوناً بعينه. وعلى هذا فللمسلمة أن تلبس كافة الألوان.. ولكن بما أن الإسلام هو دين الوسط فلا بأس من تجنب الفاقع من الألوان خصوصاً الألوان الصارخة شديدة الجذب وبالـذات للمتقدمات في السن.

وإن كنت من هواة الألوان الصارخة، فلا بأس من لبسها داخل المنزل أو في الملابس الداخلية. أما الحديث المنسوب إلى رسول الله ﷺ: «اياكم والحمرة، فإنها أحب الزينـة إلى الشيطان» فهو حديث ضعيف، لا يعتد به[١]، وأبلغ دليل على ذلـك أن كتب السيرة تـذكر أن رسـول الله ﷺ ـ لبس عبـاءة حمراء[٢].

---

(١) المنياوي ـ فيض القدير ـ الجزء الثالث / ١٢٠.

(٢) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة عن شريك بن عبد الله القاضي، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال:

«ما رأيت أجمل من رسول الله ـ ﷺ ـ مترجلاً في حلة حمراء». (سنن ابن ماجه ـ باب كتاب اللباس ٢٢١).

والحلة الحمراء كما فسرها ابن القيم في زاد المعاد: ثوبان معاً، وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتة لا يخالطها غيرها، فقد كانت هذه الحلة بردين يمنيين منسوجين بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمراء.

٢ ـ شكل الملابس «الموديلات»

من رحمة الله بعباده أنه لم يرسم «موديلاً» أو شكلاً معيناً تلتزم به المرأة المسلمة.. وذلك لأن المرأة بطبيعتها تحب التغيير في شكل ما تلبس، والله خبير عليم بذلك، فلا أعرف نصاً صريحاً ضد هذه الرغبة لا في القرآن ولا في السنة المطهرة، ولكن كل شكل أو زي يمكن أن يكون إسلامياً، إذا راعت فيه المرأة الشروط السابق ذكرها.

ونحن نرى المرأة الباكستانية ترتدي لباساً خاصاً يختلف عن لباس السودانية.. عن الفلاحة المصرية.. عن المرأة السعودية.. عن المرأة المسلمة في أوروبا.. الخ.

٣ ـ تصفيف الشعر «الكوافير»

للمرأة أن تذهب إلى المتخصصات في تجميل الشعر والعناية به وتهذيبه كيفما تشاء بالصورة الجميلة على أن تكون المصففة امرأة وليست رجلاً بالطبع، وأحب أن أوجه نظر المحجبات إلى ضرورة العناية بتنظيف وتجميل الشعر دائماً، فلا ينسيهن الحجاب أن الشعر زينة المرأة، وأن من حق الزوج عليها أن يراها دائماً متزينة له،فالشعر مناط أنوثة المرأة وحسن مظهره

وطيب رائحته يرغب الزوج فيها والعكس صحيح[1].

٤ ـ «إزالــة الشعــر»

على المرأة أن تزيل الشعر الزائد في جسمها أو وجهها، وأن تحرص أشد الحرص على نظافة بدنها من الشعر حتى لا تتشبه بالرجال، وهناك من النساء من لا تحتاج إلى هذا الأمر لأنها «ملساء» لا ينبت في جسدها شعر. أما المرأة «المشعرة» فعليها أن تحرص على إزالة الشعر كل أربعين يوماً على الأكثر، فقد كان «ابن عمر» يقلم أظفاره كل خمس عشرة ليلة، ويستحد في كل شهر[2].

روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال:

«خمس من الفطرة: الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظافر وقص الشارب»[3].

ولأهمية إزالة الشعر والإهتمام بذلك، روي عن جابر قوله:

---

(١) يشكو بعض الأزواج من اهمال الزوجات للشعر بمجرد وضع الخمار، وأحذر المرأة من ذلك.

(٢) البخاري في الأدب المفرد ـ ص ٣٦٥.

(٣) رواه البخاري ومسلم، والترمذي، والنسائي وابن ماجه ومالك. والمقصود بالاستحداد إزالة شعر العانة، وهي المنطقة التناسلية في الرجل والمرأة بالحلق عند الرجال، والنتف بالنسبة للنساء.

«كنت مع رسول الله - ﷺ - في غزوة، فلما قفلنا (أي رجعنا) إلى بعير قطوف (أي مسرعة) فلحقني راكب من خلفي، فالتفت فإذا أنا برسول الله - ﷺ - قال: ما يعجلك؟ قلت: إني حديث عهد بعرس. قال: أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً لكي تمشط الشعثة وتستحد المغيبة[1].

٥ ـ «النمص «نتف الحواجب».

على المرأة ألا تغير من مكان حاجبيها جرياً وراء الموضة، ولكن إذا كانت الحواجب شديدة الكثافة شديدة الانتشار والالتصاق كل بالآخر بحيث يؤذي الوجه ويسيء إليه جاز تهذيب الحاجبين وتنظيف الشعر المنتشر حولهما أي تهذيب الخلقة بحيث تكون أقرب إلى الطبيعة دون مغالاة في ترقيقهما فتخرجهما عن الشكل الطبيعي، واستشهدوا بهذا الحديث:

أخرج الطبراني عن امرأة أبي إسحاق أنها دخلت على عائشة، وكانت شابة يعجبها الجمال، فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقالت: أميطي عنك الأذى ما استطعت»[2].

فإن سمح للمرأة بإزالة شعر الجبين واعتباره أذى، فكذلك الشارب والذقن والشعر المنتشر حول صلب الحاجبين، مع

---

(١) البخاري ـ كتاب النكاح، ومسلم ـ كتاب الرضاع.. ومعنى تمشط الشعثة.. أي ترجل الشعر الأشعث وتستحد المغيبة.. أي تزيل المرأة الشعر المأمورة بازالته. حيث تركته في غيبة زوجها.

(٢) فتح الباري ـ شرح حديث ابن مسعود في باب المتنمصات ـ كتاب اللباس.

الحرص على عدم تغيير الشكل أو الافراط في الترقيق كما تفعل بعض الخليعات.. والله أعلم.

٦ ـ الطيب (الروائح)

ـ قال ﷺ ـ: «احسنوا ثيابكم وأحسنوا روائحكم حتى تكونوا كالشامة» والشامة هي النجمة اللامعة[١].

ـ وقال في رواية أخرى:

«أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس»[٢].

وقال ﷺ:

«ان الله جميل يحب الجمال،طيّب يحب الطيب»[٢].

وكان ﷺ، يستعمل المسك هو ونساؤه وبناته، حتى أن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت أطيب رسول الله ـ ﷺ ـ لإحرامه قبل أن يحرم،ولحله قبل أن يطوف بالبيت»[٣].

وأخرج أحمد وأبو داود، أن عائشة رضي الله عنها، قالت:

(١) أورده السيوطي في الجامع الصغير وذكر أنه في المستدرك عن سهل ابن الحنظلية ورمز له بالصحة. قال في سلسلة الأحاديث الضعيفة إنه ضعيف برقم ٢٠٨٣ وذكره في ضعيف الجامع الصغير.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه مسلم.

«كنا نخرج مع النبي - ﷺ - إلى مكة، فنضمد جباهنا بالمسك المطيب عند الإحرام، فإذا عرقت إحدانا سال على وجهها فيراه النبي ﷺ فلا ينهانا»[1].

وسكوته - ﷺ - يدل على الجواز لأنه لا يسكت على باطل، وعنه - ﷺ - أنه قال:

«حُبِّب إليَّ من دنياكم: الطيب والنساء، وجعلت قرَّة عيني في الصلاة»[2].

ويفهم من هذه الأحاديث أن الإسلام ليس ضد الرائحة الزكية، فالله هو خالق كافة أنواع الزهور والورود ذات الرائحة المحببة ثم سخَّر لنا كل هذا لنستخرج منه مختلف الروائح الطيبة.

ولكننا نلاحظ أن بعض المسلمين يحرِّمون الطيب على المرأة استناداً إلى قول رسول الله ﷺ في بعض الأحاديث التي تؤخذ سطحياً دون تعمق فتفهم خطأً.

يقول ﷺ:

١ ــ أيما امرأة استعطرت فمرَّت على قوم ليجدوا من ريحها

---

(١) عون المعبود: شرح سنن أبي داود ـ الجزء الخامس ونضمد: تلطخ المسك (بضم السين) نوع من الطيب، وفي رواية (بالمسك والطيب).

(٢) النسائي ـ كتاب عشرة النساء ـ باب حب النساء ٧ / ٦١.

فهي زانية[1].

٢ ـ عن موسى بن يسار عن أبي هريرة أن امرأة مرّت به تعصف ريحها، فقال: يا أمة الجبار المسجد تريدين؟ قالت: نعم. قال: وله تطيبت؟ قالت: نعم. قال: فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرأة تخرج إلى المسجد تعصف ريحها فيقبل الله منها صلاة حتى ترجع إلى بيتها فتغتسل»[2].

ونتساءل ما معنى هذين الحديثين؟ وهل هما متناقضان مع الأحاديث السابقة؟ أقول: لا، ولكن علينا أن نتفهم المعنى جيداً:

ففي الحديث الأول نرى المرأة خرجت من بيتها معطرة ومرّت على رجال فوجدوا ريحها.. هنا الزنا لا يعود على الرائحة الطيبة، ولكن يعود على نية المرأة التي ما تطيبت إلا لتمر على مجالس الرجال فتحدث الفتنة والاثارة. وإنما الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى..

ونقول في الحديث الثاني: ان كلمة «عصفت ريحها» يدل على الافراط في استعمال الطيب، حتى أن رائحته اشتدت

---

(١) أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي والحاكم وأحمد.
(٢) أخرجه البيهقي، من كتاب «حجاب المرأة المسلمة» لمحمد ناصر الدين الألباني.

ودخلت أنوف الرجال، والإسلام دين الوسط يكره الافراط كما يكره التفريط. فالطيب المعقول من شيمة المؤمن يستعمله ويحبه ويقدمه هدايا. فقد قال ﷺ: «من عرض عليه طيب فلا يرده، فإنه طيب الريح خفيف المحمل»[1].

وفي هذه الأيام تخرج الطالبة في الصباح وربما تعود في المساء، وأيضاً الموظفة أو ربة البيت حين تتسوق.. وكلهن يحتجن إلى أنواع الطيب التي توقف افراز العرق أو تقضي على رائحته: إذ أن الجسم يفرز العرق بعد ربع ساعة من الاستحمام تقريباً.. وعلى كل مسلمة أن تنظف جيداً مواقع العرق وأن تضع أحدث ما وصل إليه العلم من مزيلات العرق في حدود نفسها ولا تتعداها.. وبذا تكون المسلمة هادئة النفس طيبة الرائحة[2].

ورغم كل هذه الأحاديث إلا أننا ما زلنا نصطدم ببعض المسلمين الذين لا يفهمون روح الإسلام وبساطته. وإليك هذه القصة:

استضاف أحد الناس مجموعة من الشباب وبعض العلماء.. وأراد الضيف أن يكرم زواره فأحضر زجاجة «كولونيا» وأخذ يرش

---

(١) سنن أبي داود في باب الطيب. وهذا للرجال بشرط وللنساء بشروط.

(٢) يقول فضيلة الشيخ «محمد الغزالي» من حق المرأة أن يكون جسمها مطهراً، وألا تكون رائحتها منفرة، ولها أن تستعمل طيبا يمنع الروائح الكريهة ولا يثير الفتنة.

الموجودين تحية لهم، فإذا بأحد الشباب ينتفض بعيداً عن رذاذ «الكولونيا» وكأنما لدغته عقرب، وهو يردد: نجاسة!! نجاسة!!

وكان بالمجلس فضيلة الشيخ «محمد الغزالي» الذي أذهله تصرف الشاب وحاول جاهداً ان يناقش القضية ويبين فيها الصواب من الخطأ.

وفي كل زمان ومكان يوجد من لا يدرك بعض الأمور أو يدركها على وجه خاطىء... فلقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن الرجل يتطيب ثم يصبح محرماً؟ فقال: ما أحب أن أصبح محرماً أنضح طيباً. لأن أطلى بقطران احب إلي من أن أفعل ذلك. فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأخبرتها أن ابن عمر قال: ما أحب أن أصبح محرماً أنضح طيباً لأن أطلى بقطران أحب إلي من أن أفعل ذلك.. فقالت عائشة: أنا طيبت رسول الله - ﷺ - عند احرامه ثم طاف في نسائه ثم أصبح محرماً[1].

وقد قال ﷺ:

«حبب اليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[2].

---

(١) رواه مسلم - عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه محمد بن المنتشر.
(٢) رواه أحمد والنسائي، عن أنس.

٧ ـ طلاء الأظافر «المانيكير» أو الخضاب

كانت المرأة في الماضي تتخضب، أي تضع الحناء ذات اللون الأحمر الجميل في يدها وقدمها وشعرها وأظفارها للزينة والتجميل فتشعر بسعادة غامرة، ولم يحرم رسول الله ﷺ الخضاب لا في الشعر ولا في الجسم ولا في الأظفار واليد.

٨ ـ «تقليم الأظافر»

روى أبو هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال:

«خمس من الفطرة: الختان والاستحداد وتقليم الأظافر وقص الشارب ونتف الابط»[١].

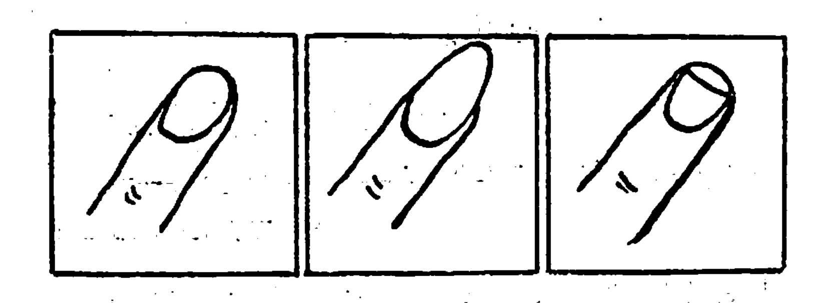
وانظري معي يا سيدتي إلى معنى تقليم الأظافر لتتأكدي أن الإسلام دين الذوق الراقي والجمال.. يقول ابن حجر في الفتح: المراد إزالة ما يزيد على ما يلامس رأس الأصبع من الظفر. ونريد الوقوف عند هذا المعنى:

فالمطلوب من المسلمة الاهتمام بأظفارها وتهذيبها بشكل

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ومالك، والمراد بالاستحداد إزالة شعر العانة، وهو الشعر الموجود في المنطقة التناسلية لدى الرجل والمرأة.

طبيعي فلا تحف أثناء التقليم إلى درجة تجعل حجم الأظفار في الأصابع صغيراً كما في الشكل - ١ - ولا تطيلها فيصعب تنظيفها وتتحول إلى مخالب كما في الشكل - ٢ - وخير الأمور الوسط، وهو اطالة الظفر حتى يلامس رأس الأصبع كما قال ابن حجر، وكما نرى في شكل - ٣ - ، فلا هي بالتي أفرطت فأصبحت كالمخالب وصعب معها التنظيف والاستعمال، ولا هي بالتي فرطت وأهملت فأصبحت كالمتآكلة[١].



شكل (١) شكل (٢) شكل (٣).

الحكمـة من التقليـم :

«لأن الوسخ في الأظافر الطويلة يصعب تنظيفه»[٢]. والإسلام هو دين النظافة والطهارة الدائمة.

---

(١) أنصح كل مسلمة باستعمال فرشاة خاصة لتنظيف الأظافر.

(٢) ابن حجـر في الفتح.

٩ ـ «الذهب والفضة والمجوهرات»

لم يحرم ربُّ العزَّة ولا رسوله على المرأة أن تتزين سواء بالأساور أو الخواتم أو العقود أو ما إلى ذلك، سواء كانت هذه الأشياء ذهباً أو فضة أو أي نوع آخر من المجوهرات الغالية الثمن... ولكن خيرُ الأمور الوسط، والإسلام كما نؤكد دائماً دين البساطة والفطرة والاعتدال وعدم المغالاة...

جاء في سنن أبي داود، في باب ما جاء في الذهب للنساء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت على النبي ﷺ - من عند النجاشي هدية أهداها له فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي. قالت: فأخذ رسول الله - ﷺ - بعض أصابعه ثم دعا أمامة ابنة العاص ابنة ابنته زينب فقال: «تحلّي بهذا يا بنيـة[1]».

ورب سائل يقول: لماذا حرم الذهب على الرجال وأباحه للنساء؟

يقول د. يوسف القرضاوي: «استثنيت المرأة في حكم تحريم الذهب مراعاة لجانب المرأة ومقتضى أنوثتها وما فطرت عليه من حب الزينة على ألا يكون همها من زينتها إغراء الرجال»[2].

---

(١) أبو داود ـ كتاب ما جاء في الذهب للنساء ٤ / ٤٣٥.
(٢) د. يوسف القرضاوي ـ الحلال والحرام في الإسلام ـ مكتبة وهبة.

أما الرجال فقد حرَّم الإسلام عليهم التحلِّي بالذهب ولبس الحرير. فعن عليّ كرَّم الله وجهه قال: «أخذ الرسول ﷺ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله، ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي»[1].

وعن عمر قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «لا تلبسوا الحرير فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[2].

وقال ﷺ في حلة من حرير: «إنما هذه لباس من لا خلاق له»[3].

أما التختم بالفضة (أي لبس خاتم من فضة) وأي معدن غير الذهب فلم يرد نص صريح بتحريمه.

حكمة تحريم الحرير والذهب على الرجال

يمكن تلخيص الحكمة في تحريم الحرير والذهب على الرجال فيما يلي:

١ ـ إن الإسلام باعتباره دين القوة والجهاد، يحرص على

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وابن حبان وابن ماجه في كتاب اللباس في لبس الحرير والذهب ٢/١١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة /باب آنية الفضة ١٢/١٩٨.

(٣) رواه الشيخان وابن ماجه في كتاب اللباس ـ باب كراهية لبس الحرير ٢/١١٧٨ ـ ١١٨٨.

صيانة رجولة الرجل وحمايتها من مظاهر الضعف والنعومة والتكسر والانحلال.

والرجل الذي يقود الأسرة والأمة يجب ألا ينافس النساء في المباهاة بالحلي والحلل.

٢ ـ ان الإسلام باعتباره دين القوة والقدرة والسيطرة على الأرض واتقان الخلافة والاستخلاف، والاهتمام بالجانب الاقتصادي، والعمل، وامتلاك الدنيا، واشاعة العدل، فإنه يقف بحزم ضد الترف والمترفين، وهو موقف ضد مظهر من مظاهر الظلم الاجتماعي.

يقول تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها، ففسقوا فيها،فحق عليها القول، فدمرناها تدميراً﴾[٢].

ويقول جل شأنه: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنًا بما أرسلتم به كافرون﴾[٣].

ويقول سبحانه في وصف أصحاب الشمال: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾[٤].

---

(١) البخاري في كتاب اللباس.
(٢) سورة الإسراء: ١٦.
(٣) سورة سبأ: ٣٤.
(٤) سورة الواقعة: ٤٥.

وهكذا يرفض القرآن الترف والمترفين.. ولهذا فقد حرّم الإسلام استعمال أواني الذهب والفضـة.

ويعقب الدكتور «يوسف القرضاوي» قائلاً:

وبعد هذا وذاك هناك اعتبار اقتصادي له وزنه. كذلك فإن الذهب هو الرصيد العالمي للنقد فلا ينبغي استعماله في مثل الأواني أو حلي الرجال.

وروى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[1].

ليـس في الحلي زكـاة:

ذهب الشافعي ومالك والليث إلى أنه لا زكاة في حلي المرأة إذا أرادت الزينة واللباس، للقاعدة الفقهية «ليس في الحلي زكاة» ولأن السبب في الزكاة هو النماء الحقيقي لا النماء التقديري..

قال الإمام أحمد: ليس في حلي المرأة زكاة إذا كان مما تلبسه أو تعيره.

وروي هذا عن أسماء وعن نافع وعن ابن عمر الذي كان يحلي بناته وجواريه بالذهب ولا يخرج عن حليهن زكاة[2].

---

(١) البخاري كتاب الأشربـة ـ باب آنية الفضة ـ ١٢ / ١٩٩.

(٢) موطأ الإمام مالك ـ كتاب الزكاة ـ باب ما لا زكاة فيه من الحلي والتبر والعنبر ـ ص ١٠٧١ .

وكذلك كانت أسماء بنت أبي بكر تحلي بناتها بالذهب ولا تزكيه.

وتحلت عائشة رضي الله عنها بإسوارتين من فضة تبلغان نصاباً ولم تزكهما.

ونختم موضوع الذهب ونحذر من كنزه نقوداً أو أواني أو سبائك.. لأن الله تعالى يقول:

﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم: هذا ما كنزتم لأنفسكم، فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[١].

١٠ ـ «الكحـــل»

ومن المعروف أن النبي ﷺ كان يكتحل، وهذا الكحل مفيد للعين، وللأهداب، ومجمّـل أيضاً ـ وكـان النبي ـ ﷺ ـ يأمر أصحابه أن يكتحلوا أو يتطيبوا ويضعوا الحناء لمقابلة الوفود التي تأتي للتعرف على الإسلام، وهذا العمل هو صميم العلاقات الاجتماعية أو العلاقات العامة، فلا بد وأن يكون مظهر المسلم مظهراً محبباً إلى النفس.. هذا بالنسبة للرجل...

---

(١) التوبـة : ٣٤.

أما المرأة فلم نقع على نص صريح يحرم الكحل في القرآن أو السنّة. وإن كنا قد قرأنا في تفسير [سورة النور] للإمام الزمخشري عندما تناول قوله تعالى: ﴿إلا ما ظهر منها﴾، حيث قال: الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم أو الكحل أو الخضاب فلا بأس بابدائه للأجانب[1].

يقول الدكتور (يوسف القرضاوي) في كتابه «الحلال والحرام في الإسلام»: «والذي أرجحه أن يقتصر ما ظهر منها» على الوجه والكفين وما يعتاد لهما من الزينة المعقولة بلا غلو ولا اسراف كالخاتم لليد والكحل للعين كما صرح به جماعة من الصحابة والتابعين.

وإليك يا سيدتي بعض الأحاديث الشريفة التي تبين فائدة استعمال الكحل:

١ ـ روى ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «خير أكحالكم الأثمد إنه يجلو البصر وينبت الشعر»[2].

---

(١) هو اختيار الطبري والقرطبي والزمخشري والرازي وغيرهم من المفسرين. راجع تفسير الآية الكريمة في تفسيراتهم.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ـ كتاب اللباس ـ باب خير أكحالكم الأثمد إنه يجلو البصر، وينبت الشعر، وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجه ـ رواه الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث أبي هريرة ٥٠/٩٦، وقال رواه البزار ورجاله من رجال الصحيح. ورواه الأربعة وصححه الحاكم عن ابن عباس. =

٢ ـ روى الترمذي من حديث ابن عباس عن النبي - ﷺ - قال:

« اكتحلوا بالأثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر»[١].

٣ ـ روي عن الإمام علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ:

«عليكم بالأثمد فإنه منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر»[٢].

ولهذا أنصح النساء باستعمال الكحل للعين، وهو عبارة عن حجر يطحن و يطحن جيداً، ثم ينخل في منخل حرير، حتى لا يؤذي العين، ثم يكتحل به لما فيه من فوائد جمة.

وكان للنبي ﷺ - مكحلة يكتحل بها كل ليلة،ثلاثة في هذه

= والأثمد: حجر معروف أسود يضرب إلى الحمرة يكون في بلاد الحجاز. واجوده يؤتى من اصبهان، وقيل هو الكحل الأصفهاني ينشف الدمعة والقروح، ويحفظ صحة العين ويقوي جفنيها لا سيما الشيوخ والصبيان - راجع الفتح ١٢/١٤، والفتح الرباني ١٧/٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(١) الترمذي في سننه ـ كتاب اللباس ـ باب ما جاء في الاكتحال ٧/٢٥٩ - ٢٦٠. وقال: حديث ابن عباس حسن غريب لا نعرفه على هذا اللفظ إلا من حديث عباس بن منصور.

(٢) مجمع الزوائد ـ باب ما جاء في الأثمد، والاكتحال ٥/٩٦ ـ وقال الهيثمي، رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عون بن محمد بن الحنفية، ذكره ابن أبي حاتم وروى عن جماعة ولم يخرجه أحمد،بقية رجاله ثقات.

وثلاثة في هذه[1].

والغرض من وضع الكحل ليلاً عند النوم ليلتقي عليه الجفنان وتسكن الحركة ويتمكن الكحل من السريان في تجاويف العين، ويظهر تأثيره في المقصود من الانتفاع به.

ولقد أجمل ابن العربي فوائد الكحل، فقال:

«والكحل مشتمل على منفعتين إحداهما للزينة، والثانية تطبيب، وعلى هذا فالتزين به سنة مستحبة للرجل والمرأة»[2].

وبهذه المناسبة أذكر كل مسلمة: أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان حين يضع الكحل ليلاً يغمس المكحلة في الكحل ثلاثاً ويضعها في جفن العين.

**.. ** .. ** .. **

١١ ـ الشعر المستعار (الباروكة)

ووقفة معي أيتها الأخت المسلمة الكريمـــة:

إن المرأة التي تعتمد على الباروكة أو «البوستيج» غالباً ما تهمل العناية بشعرها سواء بنظافته أو بتصفيفه، ولا بد من العناية

---

(١) الترمذي ـ في كتاب الطب ـ باب ما جاء في السعوط وغيره ـ ٨/٢٠٥ ـ ٢٠٦، وقال هذا حديث حسن وغريب.

(٢) شرح السنن للترمذي ـ ٧ / ٢٠٦.

بجمال الشعر ونظافته وعلاجه إذا مرض لأن الشعر زينة الأنثى وتاجها. وكلمة أسوقها لكل محجبة: «ليس معنى أننا نغطي شعورنا بالخمار أن نترك الشعر متسخاً أو غير مصفف أو مريضاً متقصفاً اعتماداً على الخمار الذي يواري كل هذا. . لا وألف لا يا سيدتي. . لا بد من علاجه حتى لا يسقط ولا يضعف. والعلاج ليس في اخفائه بالباروكة أو الخمار، ولكن بالعناية التامة والعلاج الكامل. .

* . * . * . *

١٢ ـ «التطريف والتجميل (الماكياج)

الماكياج ، هو المساحيق العديدة التي تستعملها بعض النساء في تجميل الوجه. وهذه المساحيق تتبناها وتعلن عنها وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، بكل أساليب الجذب والتشويق حتى غدت الشغل الشاغل لفريق كبير من النساء.

والإسلام كما نؤكد دائماً هو دين الحياة، وقد أوجب على كل مسلم ومسلمة الاهتمام بالبشرة والشعر. بل لقد أمر بالوضوء خمس مرات في اليوم والليلة مع الترغيب في المحافظة على استمرار المرء متوضئاً طوال الوقت، مما يجعل البشرة في حالة دائمة من الانتعاش والحيوية، يقول تعالى: ﴿وجعلنا من الماء

كل شيء حي﴾[1] فمن أراد الحيوية والنشاط فعليه باسباغ الوضوء على الوضوء. وعموماً فإن المحافظة على التطهر والنظافة والمداومة على الصلة الدائمة بالله ينتج عنها راحة نفسية تظهر آثارها على وجه المسلم والمسلمة.

أما استعمال المساحيق والألوان والأصباغ فبقليل من التفكير نجد أنها تبعد المرأة عن الشكل الطبيعي الذي أبدعه الخلاق العظيم وصوره فأحسن صورته.

والماكياج يغير هذه الصورة إلى صورة مصطنعة لا تستريح لها الفطرة السليمة، هذا فضلاً عن الأضرار التي تلحق بالبشرة مثل ظهور التجاعيد مبكرة، وارتخاء أعصاب الوجه، وتساقط شعر الأهداب، وانطفاء لون الوجه بصفة عامة، فتبدو المرأة الشابة بعد حين كما لو كانت قد دخلت إلى الشيخوخة منذ زمان بعيد!

* * *

حادث مخجل !

أذكر حادثة وقعت سنة ١٩٦٩، بينما كان أحد ملوك الماكياج يتنزه مع أحد أصدقائه من أصحاب محلات سباق الخيل، في حديقة الحيوان، ورأى الرجل قرداً حول عينيه ألوان دائرية تتكون من الأخضر والأزرق والرمادي والبني والبمبي، فأشار بيده تجاه

---

(١) الأنبياء: ٣٠

القرد وظل يضحك عليه، فنظر إليه صديقه ملك الماكياج، وقال له: ما رأيك لو جعلنا المرأة سنة ١٩٧٠ بهذه الصورة؟ فقال الصديق: إن هذا شيء لا يمكن أن يكون، فمن من النساء تقبل هذا المنظر المضحك؟! فقال ملك الماكياج: أنا أملك أن أجعلها تلهث وراء هذا الشكل.. وكان رهان بينهما!! ثم كانت الحملات الاعلامية في جميع صفحات المرأة والاذاعة والتليفزيون، وما مرّ عام واحد حتى كانت المرأة المتمدينة في كل مكان تضع حول عينيها ألوان «قوس قزح»، وكسب ملك الماكياج الرهان، ونشر الخبر في إحدى الجرائد، فبادر الرجل بشراء كل النسخ حتى لا ينكشف أمره، ويظل هو الموجه الأول والأخير لعقول النساء في العالم؟

وأعود إلى القول بأن الإسلام قد أباح لنا العناية بالبشرة إلى أقصى حد.. وكذلك وضع الكحل، وتهذيب الحواجب. ووضع الروائح، ولبس كافة الألوان والطرز (الموديلات) مع مراعاة الشروط السابقة. أما الماكياج فإن وصلت المرأة إلى حد عدم الثقة بنفسها، فلا مانع من استخدام الأصباغ من أجل الزوج فقط، وإن كنت واثقة من أن المرأة ستدرك بحاستها المرهفة أن الرجل يفضل -عادة- الوجه الطبيعي الخالي من المساحيق والأصباغ.

تقول الدكتورة (عفاف علي حسن النجار):

«إن المواظبة على التبرج والتجمل يتطلب مالاً كثيراً وصبراً كثيراً أكثر مما تتطلبه عبادة الله، فكم ضيعت الصلاة من أجل قليل من الأصباغ على وجهها (أي المرأة) فلا تتوضأ لتحافظ على الزينة، ولا تحافظ على الصلاة![1].

وهناك رجال يفضلون المرأة التي تضع المساحيق، فعلى الزوجة الذكية أن ترضي زوجها، ولا مانع أن تستخدم وسائل التجميل من أجله وداخل بيته، وقد أجاز بعض الحنابلة ذلك.

** .. ** .. **

أخلاق إسلامية بلا إسلام

دعانا وزير سابق ينزع إلى الخير والبر، ويدعو إلى الفضيلة، وينادي بالاحتشام.. دعاني للقاء مجموعة من الفتيات والسيدات الصينيات.. فذهبت وكلي أمل أن ألفت بمظهري وسلوكي نظرهن إلى جمال وكمال الإسلام، وحاولت أن يكون مظهري بسيطاً مريحاً نظيفاً على قدر المستطاع حتى أشجعهن على الاستماع إليّ.. وعندما وصلت النادي فوجئت بخمسين سيدة في غاية البساطة يرتدين زياً موحداً رمادي اللون، بسيط التفاصيل، ولا يضعن أي نوع من المساحيق في وجوههن! وتعجبت لذلك أشد العجب، فالدعوة إلى العشاء، والمفروض

---

(١) رسالة ماجستير بعنوان: «مواقف القرآن والسنّة من تغيير خلق الله».

في هذا الزمان، وفي مثل هذه الحفلات أن تضع المرأة بعض المساحيق على الأقل.

وجلست على مائدة العشاء بجوار رئيسة الجماعة، وبعد أن تفرست في وجوه المجموعة، سألت رئيستهن: لماذا لا تضعن الماكياج، ونحن في حفل ليلي؟! فابتسمت ابتسامة رقيقة، وقالت: أسألي الفتيات.. وسألت بعضهن، وكم أدهشتني الإجابات. قالت إحداهن: نحن دولة تبني نفسها لتقف أمام الدول الكبرى، وليس لدينا وقت لهذه التفاهات فنحن نعمل الليل والنهار، وعلقت كبيرتهن قائلة: «في بلادنا نركز على العمل والإنتاج. والمرأة عندنا تفهم مسؤولياتها جيداً ولا تهتم بما يشيعه الغرب الرأسمالي من جنون الموضة والمساحيق لصرف الطاقات عن العمل الجاد المثمر.

وكم أدهشتني الإجابات الواثقة وتمنيت لو سمعت كل مسلمة هذا الكلام وأدركت مغزاه، لتعرف أننا أولى بفهم حقيقة رسالتنا على الأرض، ولتعي كل منا معنى الخلافة عن الله في أرضه، ولتشعر بعظم مسؤولياتها، ولتنصرف إلى بناء نفسها ومجتمعها، بل وأمتها الإسلامية التي لن تقوم لها قائمة إلا بوعي وفهم وإلمام بقوانين السماء. وتذكرت وقتها كلمة لأحد المجاهدين، وهو الأستاذ «محمد حلمي نور الدين»، حين قال:

«من شاء أن يتعرف سر تقدم شعب أو تأخره، فليرجع إلى

أخلاق المرأة وأثرها في بناء الوطن. فالمرأة في الأمة مقياس رفعتها أو انحطاطها، ومعيار عزتها أو اذلالها، وميزان شجاعتها أو جبنها، فالمرأة خير ظهير للرجل، وعتاد بيته، وشريكة حياته، وموضع شكاته، ومستودع سره، ومهبط نجواه، وسكن نفسه، وطمأنينة قلبه. فإن أخلصت وخلصت لله، وكانت الوفاء والولاء والحنان والرحمة والتسلية والتأسية مما يرأب صدع الأمة فيقيم مائلها ويلم شعثها ويهدىء روعها. إنها نور الوجود. ثم ذكر هذه القصة:

«كان المعز لدين الله متهيباً فتح مصر، يظن أنها أمنع من عقاب وأرفع من سحاب، وأن جنده لا قبل لهم بجنودها وأنه عاجز عن تهديدها. فلما قيل له: إن نساء قصر الأخشيد قد أغرقهن الترف ورفعن نقاب الحياء والسرف واستهن الفضيلة وتركن رسالتهن. قال في زهو وانتصار: اليوم فتحت مصر!!!»[1].

وخير ما نختم به موضوع المساحيق (الماكياج) كلمات قرأتها منذ سنوات في صحيفة إحدى الجماعات الإسلامية بطب المنصورة، جاء فيها:

سأل أحد الصحفيين سيدة جميلة: أي أنواع المساحيق تستعملين؟

---

(١) من كلمة القاها في مؤتمر الجمعيات والهيئات الإسلامية في رمضان ١٣٧١ هـ - مارس ١٩٥٢ م، ثم طبعت ووزعت على القراء.

فقالت: استعمل لوجهي الإيمان، ولكفي الإحسان، ولساقي السير في طريق النور، ولشعري الستر من العيون، ولعيني الغض عما حرم الله».

*** .... *** .... ***

١٣ ـ ثياب الشهرة والاختيال

وهي ثياب أسرف في تزيينها وترصيعها وإطالتها بغرض المباهاة والخيلاء، والتكبر على خلق الله. يقول ﷺ:

«من جر ثوبة خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[١].

وخيلاء بمعنى بطر وزهو وتبختر، وكلها بمعنى واحد.

وقال ﷺ: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة»[٢].

وقال: «كل ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان: سرف أو مخيلة»، وفي رواية «أخطأتك». رواه البخاري.

الحكمة من تحريم المغالاة في الملبس:

١ ـ في المغالاة زهو وتفاخر:

يقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[٣].

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس - باب من جر إزاره من غير خيلاء ٣٦٧/١٢.

(٢) أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

(٣) لقمان: ١٨.

٢ ـ في المغالاة تعالٍ على عباد الله، والله يحب التواضع والمتواضعين.

ـ يقول الله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً، إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾[١].

ويقول تعالى في حديث قدسي: «أحب ثلاثة وحبي لثلاثة أشد...»[٢]... منها: أحب المتواضعين وحبي للغني المتواضع أشد.

٣ ـ في المغالاة إسراف وترف وتبذير.

يقول تعالى: ﴿إن الله لا يحب المسرفين﴾[٣].

ويقول: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفوراً﴾[٤].

ويقول: ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾[٥].

أي أن النعيم والترف يسأل عنه كل إنسان في الآخرة، ويحاسب على مال الله الذي استخلفه فيه.

---

(١) الإسراء: ٣٧.
(٢) اخرجه احمد ـ ٢ / ٩٢.
(٣) الأعراف: ٣١.
(٤) الإسراء: ٢٧.
(٥) التكاثر: ٨.

٤ ـ في المغـالاة تكبـر:

قال ﷺ : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[١].

ويقول تعالى: ﴿إن الله لا يحب المستكبرين﴾[٢].

ونختتم هذا الكلام بالحديث الشريف التالي حتى لا يلتبس الأمر:

قال رجل لرسول الله ﷺ : «إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً» فقال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس». رواه الترمذي.

وفي حديث آخر ـ قال ﷺ :

«إن الله جميل يحب الجمال[٣]. ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده[٤]». وخير الأمور الوسط.

* * * *

---

(١) مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب تحريم الكبر وبيانه ١/٩٣.
(٢) النحل : ٢٣.
(٣) رواه مسلم وابن ماجه وابن حنبل.
(٤) رواه أبو داود والترمذي.

١٤ ـ جراحة التجميل

يقول ﷺ : «لعن الله النامصة والمتنمصة[١] والواشمة والمستوشمة[٢] والواصلة والمستوصلة[٣] والمتفلجات للحسن[٤] المغيرات لخلق الله[٥].

ونأتي عند كلمة المغيرات لخلق الله لنتحدث عن عمليات التجميل المشهورة في هذا الزمان، فهناك من تنفق أموالاً طائلة كأولئك اللاتي يطلق عليهن (الفنانات) مثلاً ـ لتغيير خلقتها رغم أنها قد اشتهرت بها، وحققت ـ من وجهة نظر البعض ـ مجداً بخلقتها الأولى، ثم تجدها بعد ذلك في شكل آخر سعياً وراء المزيد من ذلك المسمى (بالمجد)!

وهذا الأمر يؤدي إلى انتشار البطر والتمرد على خلقة الله، لأن المرأة في جميع مراحل عمرها تختلف نظرتها إلى الأشياء

---

(١) التي تغير في طبيعة حاجبها وتسرف في ترقيقه، أو ترسمه بالأقلام الخاصة لرسم الحاجب. وكذلك من تقوم به لغيرها.

(٢) التي ترسم الوشم على جسدها ووجهها، وما يعرف في الريف (بالدق)، ويكثر في البيئات البدوية. وكذلك من تقوم به لغيرها.

(٣) التي تصل شعرها بشعر مستعار. وكذلك من تقوم به لغيرها.

(٤) التي تعمد على توسيع ما بين أسنانها من أجل زيادة الجمال ـ كما تظن ـ أو تعتقد أنه مجلبة للسعد.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

عموماً وإلى مقاييس الجمال خصوصاً باختلاف هذه المراحل. فهل الإسلام يقر هذا العبث؟

إن الإسلام يريد لها أن تنمي معارفها وتوسع مداركها وتتحبب إلى الله وإلى عباد الله بما تقدم من خدمات ومساعدات. أما أن تجعل همها الأول والأخير، كيف تجعل أنفها مثل فلانة؟ وفاها مثل علانة؟ فهذا أمر مهلك ولا شك.

ولكن إذا ما شوهت بعض الأعضاء نتيجة حادثة، أو عملية فيجوز أن تستغل العلم في إعادة الشكل إلى طبيعته الأولى بقدر المستطاع، وكذلك إن كانت هناك عيوب خلقية وزوائد في الأنف أو في أي مكان آخر تسبب لها حرجاً وتلفت النظر إليها فلها أن تتخلص منها.

يفسر البعض الآية الكريمة التي يقول فيها رب العزة سبحانه على لسان الشيطان: ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾[1] بأن معناها تحريم عمليات التجميل. والحقيقة أنها تعني تحريم (الخصاء) عند الرجال، أي قطع بعض أجزاء الذكورة (الخصيتين) عند الطفل لاستغلاله في خدمة النساء، وهو ما كان معروفاً في الماضي بنظام (الأغوات). وقد حرم الإسلام ذلك لأنه يحرم الرجل من ممارسة حقه الطبيعي في الزواج والانجاب، ويحوله إلى حيوان يعمل بلا إحساس.

---

(١) سورة النساء : ١١٩.

١٥ ـ صبغ الشعر

روى البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه ـ ﷺ ـ قال:

«إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[١].

وكان اليهود والنصارى لا يخضبون، ويمتنعون عن صبغ الشيب ظناً منهم أن التجمل والتزين ينافي التعبد والتدين.

والشيب ليس عيباً ولا نقصاً يخجل منه، فقد روي عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا تنتفوا الشيب،ما من مسلم يشيب شيبة في الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة، و. . إلاكتب الله له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة»[٢].

ويفهم من هذا الحديث والذي قبله، أن صبغ الشعر ليس بواجب، خصوصاً إذا شابت بعض الشعيرات، ولكن صبغ الشعر سنة مستحبة ان شاب الشعر كله. وهناك بعض الناس من يزيده الشيب بهاء وجلالاً، وهناك البعض الآخر من يزيده الشيب شيخوخة ويصبح الشعر كالح البياض،فله أن يصبغه إذا أراد.

---

(١) البخاري ـ كتاب اللباس ـ باب الخضاب ـ ١٢ / ٤٧٦.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الترجل ـ باب في نتف الشيب ـ٤/٤١٤.

جاء أبو بكر بأبيه (أبي قحافة) يوم فتح مكة يحمله حتى وضعه بين يدي رسول الله - ﷺ - ورأى رأسه شديد البياض فقال - ﷺ : «غيروا هذا (أي الشيب) وجنبوه السواد»[1].

الحكمــة من منع السواد:

الشيخ الكبيــر الذي عم الشيب رأسه ولحيته لا يليق به أن يصبغ بالسواد بعد أن بلغ من الكبر عتياً، فعليه باللون البني أو الأحمر الغامق، أما الشاب فلا بأس بصبغ الشعر بالأسود.

وقديماً كانوا يخضبون بالحناء والكتم وهو نبات باليمن يخرج الصبغ أسود يميل إلى الحمرة - أما الآن فأنواع الصبغات أصبحت من الكثرة والجودة والسهولة في الاستعمال ما جعلها في متناول الجميع.

وقد عرف عن أبي بكر وعمر أنهما كانا يصبغان الشيبة، وروى ذلك عن عثمان والحسن والحسين ابني علي وعقبة ابن عامر وابن سيرين والمسلمين عموماً»[2].

والخلاصة التي تهمنا هنا هي أن للمرأة حق صبغ شعرها كيفما شاءت إذا كان في هذا التغيير راحة نفسية لها.

---

(١) أخرجه أبو داود - باب في الخضاب - ٤/٤١٥.
(٢) روى عن الفيرازين حديث قال: رأيت الحسن والحسين يخضبان بالحناء والكتم (مجمع الزوائد في كتاب اللباس) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

الجمـال والفتنـة

أخيراً نحب أن ننبه إلى شيء مفيد، وهو أن هناك فارقاً كبيراً بين الجمال ـ وهو محبب إلى الله وإلى العباد ـ وبين الفتنة ـ وهي محببة إلى الشيطان وأتباعه. فالجمال مطلوب إسلامياً، والفتنة ممجوجة ومكروهة إسلامياً بل ومحرمة في بعض الأحيان ـ والمقصود بالفتنة المحرمة إثارة الغرائز والشهوات وصرف كل من يري هذه المرأة عن ذكر الله، وتحريك الشيطان ـ والمرأة التي تعمد إلى إثارة الفتنة ظالمة لنفسها، لأن العين تزني وهي تنظر، فهذه المرأة تتحمل مثل جزاء كل عين تقع عليها فتفتن عن ذكر الله وطاعته. وهي بهذا ظالمة للناس أيضاً. يقول تعالى ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾[1]. أي القوم الذين ظلموا أنفسهم وعصوا الله ورسوله.

من هنا يجب على كل مسلمة أن تنأى بنفسها عن أن تكون سبباً في الزنا بالعين.

ولنذكر أنه عندما تحرص المسلمة على نظافة مظهرها وبساطة هيئتها ورقي ملابسها، فإنها تذكر كل من رآها بجمال وجلال الإسلام.

---

(١) سورة يونس : ٨٥.

يقول الدكتور (يوسف القرضاوي) في كتابه ـ الحلال والحرام ـ : «والغرض من الملبس في نظر الإسلام أمران: ستر العورة والزينة، ولهذا امتن الله على بني الإنسان عامة، بما هيأ لهم بتدبيره من لباس ورياش، فقال تعالى: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً﴾[1].

فمن فرّط في أحد هذين الأمرين الستر أو التزين، فقد انحرف عن صراط الإسلام إلى سبل الشيطان. وهذا سر الندائين اللذين وجههما الله إلى بني آدم بعد النداء السابق يحذرهم فيها من التعري وترك الزينة اتباعاً لخطوات الشيطان. قال تعالى:

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[3].

ويقول ﷺ:

«إن الله جميل يحب الجمال. . .»[4].

إن الله تعالى جميل له الجمال المطلق ومن أحق بالجمال

---

(١) الأعراف : ٢٦ .
(٢) الأعراف : ٢٧ .
(٣) الأعراف : ٣١.
(٤) سبق تخريج الحديث.

منه؟ كل جمال في الوجود من آثار صنعته، فله جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال، ولولا حجاب النور على وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه من خلق.. ويحب الجمال منكم أي التجمل منكم في الهيئة أو في قلة اظهار الحاجة لغيره يحب ظهور أسمائه وصفاته في خلقه. وعلاقة طالب الجمال أن يحب الجمال في كل شيء حتى في خلوته، وحتى في ستور داره، فليس ذلك من الكبر.

يقول الشهيد «سيد قطب» في ـ الظلال ـ :

«فأما الذي حرمه الله حقاً فليس الزينة المعتدل من اللباس، وليس الطيب في الطعام والشراب في غير سرف ومخيلة، إنما الذي حرمه الله حقاً هو الذي يزاولونه فعلاً»[1].

﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[2].

*** ... *** ... ***

(١) في ظلال القرآن ـ ص ١٢٨٣ .

(٢) الأعـراف : ٣٣.

الحـــب...

س ١: هل الحب حلال أم حرام؟

س ٢: وهل من حق الفتاة المسلمة ان تسترسل في هذه المشاعر أم لا؟

س ٣: وهل تملك المؤمنة أن تجنب نفسها هذه المشاعر؟

س ٤: وما هو التصرف اذا استشعرت هذه الأحاسيس؟

س ٥: وما هو الحب الذي يتغنى به الناس منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا؟

الحب هـو ميل قلبي نحـو شخص ورغبة في البقـاء معه والسكن اليه. وقد يكون هذا الميل معتدلا محتملاً هادئاً يسمح بضبط المشـاعر، وإعمـال العقل، والسـيطرة في النهايـة على النفس. وقد يكون هذا الميل جارفاً ثائراً تنفلت معه التصرفات ويتوقف معه العقل وتنطلق معه الغرائز وتكون العواقب وخيمة.

وقد تقع المسلمة في احد هذين النوعين: وبقدر إيمانها وصلتها بالله يكون زمام الأمر في يدها الى حد ما. وسوف يعينها الله في بقية الأمر.

وفي البداية نقول: ان الحب عموما شيء مستحب يجب ان يعود الإنسان نفسه عليه ويتعلمه.

أذكر في مقام الحب كلمة لوالدي - رحمه الله - وقت ان كان استاذاً لقسم الصحافة بجامعة القاهرة[1]، وفي احدى حفلات التخرج قال لتلاميذه:

«لكم أن تنسوا كل ما تعلمتموه في سنوات الدراسة، على أن تذكروا شيئاً واحداً فقط.. هو الحب.. كونوا أيها الشباب أحباء الله تشعروا بمعنى الحق.. أحباء للناس تشعروا بمعنى القوة.. أحباء للأشياء تشعروا بمعنى الجمال..».

الحق.. القوة.. الجمال

ان هذه القيم لا يمكن الوصول اليها إلا بالتدريب على الحب.

والسؤال هنا:

ما هو موقف الاسلام من حب الفتاة للشباب فيما يطلقون عليه بالحب الأفلاطوني؟

والاجابة هي: ان الله تعالى خلق الجنسين الذكر والأنثى

---

(١) الدكتور عبد اللطيف حمزة.. أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة ومؤسس كلية الاعلام.

وأودع فيهما الغرائز جميعها لحكمة ما، منها استمرار الحياة، فالأنثى الطبيعية حين ترى شابا وتأنس فيه الأخلاق الطيبة والصفات الحميدة والمظهر المريح، فإنها قد تميل إليه. «ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف شاء»[1].

اذاً لا ذنب ولا جريمة على الفتاة اذا ما شعرت بهذا الميل البطيء او المفاجىء. ولكن دعينا نسألك - أيتها الأخت المسلمة - عندما شعرت بهذا الميل أو الاعجاب واقتنعت بأنه حقيقة فماذا تريدين؟ لا بد أنك تريدين الزواج بهذا الشاب.. ولا شك انك تتمنين أن ترتبطي بهذا الرجل وأن يكون شريكاً لحياتك وأباً لأولادك أي أنك تطلبين من رب الأرزاق أن يكون لك نصيباً معه. وهنا نذكر قول رسولنا الكريم ﷺ : «لم ير للمتحابين مثل النكاح»[2].

قال الطيبي (لم ير للمتحابين) هو من الخطاب العام ومفعوله الأول محذوف أي لم تر أيها السامع ما تزيد به المحبة (مثل النكاح) لفظ ابن ماجه والحاكم (أي مثل التزويج) أي اذا نظر

---

(١) أحمد: ٢٥١/٦. والترمذي ومسلم واللفظ لأحمد.

(٢) ابن ماجه، والحاكم عن ابن عباس في سنن ابن ماجه: لم نر (ير) للمتحابين مثل النكاح، وفي الزوائد: اسناد صحيح، ورجاله ثقات - المستدرك في شرح الجامع الصغير ج ٥ - النيسابوري المعروف بالحاكم قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

رجل لأجنبية[1] وأخذت بمجامع قلبه فنكاحها يورثه مزيداً من المحبة.

وكذا ذكر الطيبي وأوضح منه قول بعض الأكابر المراد أن أعظم الأدوية التي يعالج بها العشق النكاح فهو علاجه الذي لا يعدل عنه لغيره ما وجد إلى ذلك سبيلا..[2].

والخلاصة أنه لا يوجد في الإسلام شيء اسمه الحب للحب كما ترفع وسائل الاعلام جميعها هذا الشعار، ولكن يوجد شيء اسمه الحب لله.. وفي الله.. ومن الله.. وبالله..

والسؤال الآن: كيف يمكن أن تحققي هذه الأمنية الحلوة؟ والأجابة كالآتي:

يجب أن تعلمي هذه الحقيقة وهي أن: «ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل» أي عليك أن تحرصي على طاعة الله وتجعلي علاقتك بهذا الشاب يرضى عنها الله ورسوله.. ولكن اذا ما تهاونت في أي شيء تحت شعار الحب، فان السماء تغضب غضبة كفيلة بأن تفرق بينكما. وحتى اذا تم

(١) أي صالحة للزواج.

(٢) نسمع في هذه الأيام دعوة يرددها البعض بأن الزواج يقتل الحب.. وهذا أمر خاطىء، لأن الزواج السليم يزيد من القرب والتفاهم والمشاركة.. وطول العشرة يزيد المعزة.. وكيف لا يكون كذلك وقد قال الله تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون﴾ الروم: آية ٢١.

الزواج فسيكون غير سعيد وغير مبارك، لأنه قام على الاستهانة بحرمات الله، وكم من قصص للحب سمعناها ورأيناها، وكانت مثل الأحلام، ثم فسدت وتحطمت بعد أماني كثيرة وأحلام ودموع وآهات وسهر.

ليتك يا فتاتي تحرصين على طاعة الله فيمن تحبين. . ليتك تلجئين إلى الله، وتسألينه وتتضرعين إليه وتطلبين منه في صلاتك وفي سجودك أن يجمع بينك وبينه ان كان من الخير لك في الدنيا والآخرة هذه الشركة. وهذه تسمى بالاستخارة. ليتك تتربصين الأيام المباركة لتسألي الله من فضله، قال أحد العاشقين:

تمنيت شهر الصوم لا لعبادة
ولكن رجاء أن أرى ليلة القدر
فأدعو إله الناس دعوة عاشق .
عسى أن يريح العاشقين من الهجر[1]

ثم ماذا بعد اللجوء إلى الله واستخارته . جل شأنه ـ عليك باستشارة الأم، فهي أقرب الخلق اليك، وأحرصهم عليك. . أو الأخت الكبرى أو من ينوب. وعليك أيضاً أن تتروي وتهدئي من

---

(١) ذكر مترجمو الفقيه المتكلم (أبوسهيل الصعلوكي النيسابوري) الذي يصفونه مجدد القرن الرابع أنه تلقى هذين البيتين من أحد اخوانه. من كتاب (الشخصية الإسلامية ـ دراسة قرآنية) لبنت الشاطىء ـ ص ٩٦.

روعك، وتحكمي ارادتك في مشاعرك حتى لا تنطلق بلا ضابط ولا رابط، فتضل فتهوى، أي تسقط. ثم تعالي نتساءل عندما التقيت بهذا الشاب لمجرد دماثة خلقه، أو وجاهة منظره، أو لباقته في الحديث سقطت صريعة الهوى، فأصبحت ترينه في خيالك وفي مقامك وفي يقظتك.. في الكتاب.. بل إن خاطره يأتي في أثناء الصلاة فيشتت فكرك وتذهب الصلاة!! ثم يعاكسك هذا الطيف داخل محاضرة للعلم، وفي الطريق العام. أي أن هذا الطيف يملأ عليك نفسك وتصبحين في حالة تفان دائمة في هذا الشخص. أي أنك في حالة ذكر دائم له بالقلب أو باللسان أو بهما جميعا.

وأسألي نفسك يا فتاتي: لماذا كل هذا؟

ماذا اعطاك هذا الشاب حتى أنساك ذكر الله، وأصبح ذكره أكثر من ذكر الله؟ هل أعطاك الشمس ودفئها؟ أم الليل لتسكني فيه؟ أم الرزق؟ أم الصحة؟ أم النظر؟ أم.. أم..؟؟

ماذا اعطاك حتى استحق منك كل هذا الذكر؟

وماذا يملك أن يعطيك؟ ابتسامة!! نظرة؟؟

اختي المؤمنة:

أهمس في أذنك. إن الله يغار. نعم يغار الله عندما يعطي العبد كل هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، ثم ينصرف العبد عن شكر المولى عز وجل، وعن ذكره إلى ذكر عبد آخر لا حول

له ولا قوة. . فهدئي من روعك يا فتاتي - واحرصي على الا تدفعك هذه الحالة من حيث لا تشعرين إلى الاعتزاز بغير الله: «ومن استعز بقوم جعل الله ذله على أيديهم»، فان العزة لله وحده، ولكم أخشى أن يتحقق معك منطوق الآية الكريمة التي يقول فيها صاحبها يوم القيامة:

﴿يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا. لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا﴾[1].

فهوني على نفسك، فإن علياً رضي الله عنه، قال:

«أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما»[2].

ويقول - ﷺ -: «حبك للشيء يعمي ويصم»[3].

أي أن الحب للشخص يجعل الانسان أعمى عن عيوبه، أصم عن سماعها، حتى لا تبصر قبح فعله، ولا تسمع فيه نصح ناصح، بل ترى القبيح منه حسناً، وتسمع منه الخنا قولاً جميلاً:

وعين الرضا عن كل عين كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وقال بعضهم:

(١) سورة الفرقان ٢٨، ٢٩.
(٢) اخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الاقتصاد وفي الحب والبغض - ٣/٢٤٣.
(٣) أحمد ٥/١٩٤، ٦/٤٥٠.

وكذبت طرفي فيك والطرف صادق
واسمعت اذني فيك ما ليس يسمع

وقال ايضاً:

واصمني الحب الا عن تساروه
فمن رأى حب حبيب يورث الصمما
وكفني الحب الا عن رعايته
فالخب يعمي وفيه القتل ان كتما[1]

وانا يا فتاتي لا اقصد أن اسخر من عواطفك أو أقلل من قيمتها، فإني أعلم جيداً أن الحب صعب، وأعرف قول الشاعر:

الحب صعب فلا تعبث بصاحبه
فربما مت بين الحاء والباء

أي أن من يسخر من الحب قد يسقط بين الحاء والباء وهما مجموع كلمة (حب).

فلا بأس أن تستشعري عاطفة الحب، ولكن الحب الهادىء الرزين الذي يقود إلى طريق الحلال.. أي طريق الزواج.

ولكن السؤال الآن: كيف يمكننا أن نتغلب على هذه النار المندلعة؟

---

(١) فيض القدير.

والإجابة: علينا باللجوء إلى الله بكل جوارحنا.. نطلب منه الخير الذي يعلمه هو.. والحماية والعون على الطاعة.

اللهم قونا على طاعتك يا رب العالمين.. ولم لا ندعوه، وقد قال تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾[1]

ثم عليك ان تتجنبي الخلوة نهائياً، فالخلوة جحيم جارف لا يقاوم، ومنه يدخل الشيطان ويتمكن ويذل العباد[2]،، وعليك بغضّ البصر، وهو أمر في منتهى الأهمية، فلقد أمرنا الله به صراحة فقال:

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون﴾[3].

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...﴾[4]

وغض البصر يسد الباب الذي يتسلل منه الشيطان، وغض البصر هو السبيل لحفظ الفرج، بل كل الجوارح.. كما أن غض البصر يزيد من قدر الفتاة وقيمتها عند الرجل لأنه سيلمس فيها الحياء الذي هو زينة البنت، فإن تخلت عنه، وسمحت لنفسها أن تخلع هذا الثوب، فإن هذا سيكون بداية العصيان، وبالتالي

---

(١) الفرقان: ٧٧.

(٢) يرجع الى موضوع الاختلاط فيما سبق.

(٣)، (٤) سورة النور: ٣٠، ٣١.

بداية الهاوية وما أدراك ما هي؟ خسارة الدنيا والآخرة.. وليس معنى غض البصر عدم النظر نهائياً أو تجنب النظر ولكن المقصود عدم السماح للعين باطالة النظرة التي قد تحرك في الطرفين كوامن الغريزة ولكن لكل منهما أن ينظر إلى الآخر في حدود.. يقول ﷺ - «إذا القى الله في قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر اليها»(١)

ولقد أراد المغيرة بن شعبة أن يتزوج امرأة فقال له - ﷺ:

«اذهب فانظر اليها لأنه من الأحرى أن يؤدم بينكما»(٢) أي يؤلف ويوفق في حالة اذا وصل الميل الى حد الخطبة أو الشروع فيها.

ولنفرض - يا فتاتي - أن حبك من طرف واحد، أي من ناحيتك فقط - فما هو الحل؟

والحل هو الصبر والاستعانة بالصلاة(٣). يقول تعالى:

---

(١) اخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح - باب النظر إلى المرأة اذا أراد أن يتزوجها - ٥٩٩/١.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب النكاح - باب النظر الى المخطوبة - ٢٧٥/٢.

(٣) يروى أن الشافعي كانت له جارية يحبها ولا يجد عندها استجابة فقال:

اليس شديد أن تحب
فلا يحبك من تحبه

فردت قائلة:

ويصد عنك بوجه
وتلح أنت فلا تعبه =

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الا على الخاشعين﴾[1].

واحرصي على الا تريقي ماء وجهك، وثقي بأن الزواج كالرزق، لا حيلة لنا فيه. يقول تعالى:

﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾[2].

فإياك والتسول، واعلمي أنك في اختبار عليك أن تجتازيه في صمت وصبر،وهنا يبشرك المولى عز وجل: ﴿انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[3].

وكلمة بغير حساب تعني أن الإنسان الصابر الذي يجاهد النفس والهوى وابليس،يوفى أجره في الدنيا، بلا حدود، ويوفى أجره في الآخرة بغير حساب.

ولنفرض أن الأقدار أوقعتك في حب رجل.. ثم استحال الزواج به لأي سبب من الأسباب: ماذا تفعلين؟ عليك بالابتعاد عنه فوراً، فالبعد وطوله وقسوته تذيب مع الأيام نار العاطفة.. وتمسكي بالكتاب والسنة، وعضي عليهما بالنواجذ، واعلمي انك في اختبار صعب، فان العشق بلا أمل، ولا نكاح.. محنة لا

= من كتاب الشخصية الإسلامية ـ دراسة قرآنية ـ الدكتورة بنت الشاطىء.

(١) سورة البقرة: ٤٥.

(٢) سورة الذاريات: ٢٢.

(٣) سورة الزمر: ١٠.

ينجو منها إلا المخلصون.. ففري إلى الله! ولم لا نفر إلى الله؟!!

... وفي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله.

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله..

وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته..

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار اليه..

وفيه فاقة وفقر وحاجة لا يسدها إلا محبته والانابة إليه ودوام ذكره وصدق الاخلاص له..

وفيه نار وحسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه وقدره ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه. وعند اللقاء.. يكون العوض.. وأي عوض..

يقول ﷺ:

«من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد»[1].

يقول الأستاذ عز الدين محمد عز الدين[2] في محاضرة له:

«حذار من أن تشغل المسلمة نفسها بقراءة الروايات الجنسية الفاضحة، أو مشاهدة الأفلام الجنسية المتبجحة، أو سماع

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي.. وهو ضعيف.

(٢) صاحب مشروع تقوية الطالبات، وهو من أقوى المشروعات التي قام بها الشباب في المحلة الكبرى.

الأغاني التي لا هم لها إلا تحريك الغرائز في كلماتها التي خلت من معاني الحياء.. أو الجلوس إلى الذين لا هم لهم إلا الكلام في كل ما يتصل بالجنس، فإن هذه الأحوال كلها من شأنها أن تشعل العاطفة وتحركها تحركاً غير طبيعي بل تحركاً مصطنعاً.. قد يجعل المرأة تسلم عاطفتها لأي شخص تقابله حتى ولو لم يكن يصلح زوجاً لها.. بل وربما لن يفكر في الزواج منها.. وتظن حينئذ أن الحب هو الذي يتحرك بداخلها ولكن الحقيقة هي الرغبة في الإشباع الجنسي، والتي سمحت المرأة بتحريكها تحركاً مهيناً بالمقروء أو المسموع أو المرئي من المثيرات فبادلت المرأة نفس المهانة، وأكثر.. وحركت هذه الرغبة المرأة لتبيع عاطفتها.. بل نفسها بثمن بخس.. لحظات لذة معدودة.. تتبعها ساعات ندم غير محدودة.. تبدأ حين تستيقظ المرأة مع صدمة هذا الوهم الذي ظنت أنه حب.. ويستمر الندم.. ويزداد الألم.. ولا فائدة».

* * *

الصّور والتماثيل

قال تعالى في كتابه الكريم:

١ ـ ﴿وصوَّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات﴾(١).

٢ ـ ﴿ وصوَّركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾(٢).

٣ ـ ﴿ولقد خلقناكم ثم صوَّرناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾(٣).

٤ ـ ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾(٤).

٥ ـ ﴿في أي صورةٍ ما شاء ركّبك﴾(٥).

٦ ـ ﴿هو الله الخالق البارىء المصوِّر﴾(٦).

وهكذا جاء معنى التصوير ست مرات في الكتاب الكريم، والملاحظ أن التصوير اقترن بالتحسين في الآيتين:

---

(١) غافر: ٦٤

(٢) التغابن: ٣.

(٣) الأعراف: ١١.

(٤) آل عمران: ٦.

(٥) الأنفطار: ٨.

(٦) الحشر: ٢٤.

١ ـ ﴿وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات﴾.

٢ ـ ﴿وصوّركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾.

اي أن الله تعالى عندما صورنا أحسن هذا التصوير، وعندما أحسن التصوير أسجد لنا الملائكة كما في هذه الآية: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾.

والله تعالى قد صورنا بمشيئته وحده في هذا التصوير وهذا الحسن حين قال:

﴿في أي صورة ما شاء ركّبك﴾.

ووصف الله نفسه بالمصور في قوله: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾.

أما فيما يتعلق بالتماثيل.. فقد ذكرت أيضاً في القرآن من باب الفن والثراء حين وصف الله تعالى ما كان يقوم به الجن لسيدنا سليمان فقال:

﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً، وقليل من عبادي الشكور﴾[١].

---

(١) في ظلال القرآن. «والمحاريب من أماكن العبادة، والتماثيل الصور من نحاس وخشب وغيره. وقد كانت الجن تصنع لسليمان جفاناً كبيرة للطعام تشبه الجوابي، وتصنع له قدوراً ضخمة للطبخ راسية لضخامتها».

ويفهم من ذلك أن قصور داود وسليمان عليهما السلام كانت تحوي كماً لا يستهان به من المحاريب، والتماثيل، وقدور الطعام الضخمة لتكريم الضيوف. . كل هذا مع تقوى الله تعالى:

﴿. . الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾[1].

ونعود للحلال والحرام في الصور والتماثيل. . وأذكر لكم هذه القصة:

علمت ذات يوم أنّ صديقة حميمة لي قد هداها الله فلبست الحجاب، فقررت فوراً الذهاب اليها لتهنئتها، وسبقني قلبي إليها. حتى كنت ألهث من ورائه وأريد اللحاق به. وطرقت الباب، وفتحت الخادم ودخلت البيت، ففوجئت به مقلوباً رأساً على عقب، المناظر المرسومة أو المطرزة «التابلوهات» ملقاة على الأرض، «الأنتيكات» - أي التماثيل الصغيرة - التي كانت تزين بها أركان بيتها الأنيق قد أدارت وجهها للحائط وأعطتنا ظهرها!!.

وأيقنت فوراً أن مشادة قامت بين صديقتي وزوجها حول موضوع الحجاب استخدمت فيها الأيدي، وقبل أن أستطرد في مخاوفي، اقبلت عليّ الصديقة مرحبة، وقد لاحظت مدى انفعالي. وقبل أن تتكلم قلت لها على الفور: ما هذا الذي

(١) سورة الحج: ٤١.

حدث؟ . . وكيف انتهت المشاجرة؟ وهل ترك البيت؟ أم ماذا حدث؟ ولكم كانت دهشتي حين قالت بصوت المغلوب على أمره: لم تحدث مشاجرة ولله الحمد، ولكننا علمنا أن الصور والتماثيل حرام في حرام، ولا بد أن نمتهنها ونحقرها، فوضعناها في هذا الشكل وتركناها بلا تنظيف حتى يرضى الله ورسوله. . وقلت لها مبهوتة، وأين النصوص التي تأمر المسلمين بهذا؟ فدخلت حجرة نومها، وعادت مسرعة ومعها ورقة كتب فيها الآتي:

١ ـ روى مسلم عن زيد بن خالد الجهني عن أبي طلحة الأنصاري، قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب، ولا تماثيل، فأتيت عائشة، فقلت: ان هذا يخبرني أن النبي ـ ﷺ ـ قال: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تماثيل، فهل سمعت رسول الله ذكر ذلك؟ فقالت: لا ولكن سأحدثكم بما رأيته فعل، رأيته خرج في غزاته. فأخذت نمطاً ـ أي ستراً ـ فسترته على الباب، فلما قدم فرأى النمط، عرفت الكراهية في وجهه، فجذبه (أي النمط) حتى هتكه أو قطعه، وقال: إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين، قالت: فقطعنا منه وسادتين وحشوتهما ليفاً فلم يعب ذلك عليّ.

٢ ـ وقد روى البخاري عن أنس، قال: كان قرام ستراً لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال لها ﷺ: «أميطيه عني، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي».

٣ ــ قال ﷺ: «ان من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور» وفي رواية «الذين يضاهون بخلق الله». متفق عليه.

٤ ــ وقال ﷺ: «من صوّر صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً». البخاري وغيره.

٥ ــ ورد في الحديث أن جبريل عليه السلام، امتنع عن دخول بيت الرسول - ﷺ - لوجود تمثال على باب البيت، لم يدخل في اليوم الثاني حتى قال له: «مر برأس التمثال فليقطع حتى يصير كهذه الشجرة» رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان.

٦ ــ قال ﷺ: «ان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة». رواه مسلم.

....**

استأذنت صديقتي في نقل الأحاديث الستة للتحقق منها والنظر فيها ودراستها ومحاولة فهمها على الوجه الصحيح.

فللوهلة الأولى توحي الأحاديث الستة بأن الإسلام ضد تزيين المنزل وتجميله بالصور والتماثيل..

وعلى أية حال، فإن الرسول ﷺ لم يمانع حين صنعت عائشة من الستر وسادتين[1]... لأن بيت النبوة بيت زهد وورع،

(١) في هذه الأيام نكسو الحوائط بالورق أو القماش أو الخشب فما الحكم؟ قال النووي: ليس في الحديث ما يقتضي التحريم، لأن حقيقة اللفظ: «ان الله =

ووحي، لا ينشغل فيه قلب صاحبه وفكره بأمور دنيوية لا فائدة منها كذا جاء في الحديث الأول.

لذلك قال ﷺ لعائشة عندما رأى الستر: «حوِّلي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا». ومسؤولية رسول الله ضخمة تحتاج إلى تجرد والى تركيز. وفي رواية البخاري قال رسول الله - ﷺ - حين رأى الستر: «أميطيه عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي».

أي أن التصاوير تشغله، وهو - ﷺ - يريد أن يخلص النفس والقلب والفكر لله وحده لا شريك له.. هذا ما يوحي به الحديث الثاني.

وفي الحديث الثالث الذي قال فيه - ﷺ - «ان من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون الصور أو يضاهون خلق الله». فإنه يجب أن نلاحظ أن المثالين الذين يصنعون التماثيل في ذلك الوقت كانوا يصنعونها للعبادة فكيف لا يعذَّبون؟ ويجب هنا أن نذكر قصة ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

فلقد كان هؤلاء الخمسة رجالاً صالحين خيِّرين أحبهم الناس واطمأنوا اليهم، وعندما ماتوا صنعوا لهم تماثيل تخليداً لذكراهم، وكان الناس يذهبون اليهم تقديراً لهم أو حباً. ومع

= لم يأمرنا بذلك». وهذا يقتضي أنه ليس بواجب ولا مندوب ولا يقتضي التحريم.

كثرة التردد بدأوا يبثون التماثيل شكواهم، ومع مرور الزمن بدأ أولادهم وأحفادهم يتجهون إلى هذه التماثيل الخمسة كلما ألمت بهم حادثة، ثم جاء الجيل الذي عبدهم من دون الله.

وبما أن الإسلام أتى ليحطم الأصنام ويدعو إلى الله الواحد الأحد، فلا عجب أن يأمر الرسول بتحطيم التماثيل أو قطع رأسها والناس لا يزالون قريبي عهد بعبادة الأوثان.

وكذلك، فإن الفنان الذي يقف ليل نهار، أمام تمثاله حتى يخرجه صورة طبق الأصل من الإنسان، قد يمتلىء بالزهو والغرور، ويظن أنه يخلق.. وقد يقف الضعفاء المفتونون أمام التمثال، وقفة تبجيل وتعظيم تجرّهم إلى التقديس من حيث لا يدرون، بينما العظمة والتقديس لله وحده.

من أجل ذلك كان الحديث الرابع لمن ينساق وراء هواه، فتوسوس له نفسه أنه يخلق. لذا يقول - ﷺ: «من صوّر صورة كلف يوم القيامة بأن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً»[1].

وقال ﷺ: «ان الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة. يقال لهم: احيوا ما خلقتم»[2].

وفي الحديث عن الله تعالى «من أظلم ممن ذهب يخلق

(١) البخاري وغيره.

(٢) اخرجه البخاري في كتاب البيوع - باب التجارة فيما يكره لبسه الرجال والنساء.

كخلقي، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة»[1].

وكأن الله تعالى ينظر إلينا بهذا الحديث.. ففي هذا الزمان العجيب، وصل غرور بعض العلماء إلى محاولة خلق انسان آلي وأجهدوا انفسهم، وقامت محاولات سجلتها بعض الأفلام السينمائية على أنها حقيقة توصل إليها العلم. رغم ان الله تعالى قال:

﴿يا أيها الناس ضُرِبَ مثلٌ فاستمعوا له، إنَّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾[2].

والخلاصة أن الإسلام يريد البيت النظيف المرتب، ولا مانع من الزينة والتجميل (الديكور) دون إسراف وتبذير وتشبه بالمترفين، أي شديدي التعلق بزخارف الحياة.. ولا شك أن التماثيل التي توضع عند مدخل البيوت أمر فيه ترف.. فلا عجب ان يمتنع جبريل من دخول بيت النبي وعلى بابه تمثال، فاذا كان الإسلام اتى ليقضي على الوثنية وعبادة الأوثان ويرفع التوحيد عالياً، فلا عجب أن يقول جبريل - عليه السلام - لرسول الله - ﷺ: «مر برأس التمثال فليقطع حتى يصير كهيئة الشجرة»[3]، ولا عجب أن ينفذ رسول الله ﷺ وحي السماء.

---

(١) البخاري - كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: والله خلقكم وما تعملون - ١٧ / ٣٢٠.

(٢) سورة الحج: ٧٣.

(٣) رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن حبان.

فرسول الله - ﷺ - لم يلقَ التمثال في النار،ولكنه قطع رأسه ليغير ملامح التمثال، ثم يستفيد به من الزينة المعقولة، وصدق الله العظيم، حين قال:

﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[1].

والقضية ليست في التماثيل النصفية أو المقطوعة أو المفرغة، وليست أيضاً في الصور العادية أو «الفوتوغرافية» التي لا غنى عنها أو الصور التي تحوي مناظر طبيعية مشرقة أو معبرة. . ولكن القضية المؤسفة والتي يجب أن نتنبه إليها حتى لا نهلك بها هي الصور الخارجة عن حدود الأدب سواء في حجرة النوم أو الحمامات أو الصالونات، فقد وصل انتشارها في البيوت الإسلامية الى حد العادة أو الأمر الطبيعي رغم أن أبعاد هذه الصورة العارية شديدة الخطورة على النشء وعلى أهل البيت أنفسهم، لأن النبي - ﷺ - يقول:

«إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة»[2].

أي صورة؟ التي تحوي مناظر طبيعية؟ لا. . ولكن وجود صورة لامرأة عارية في وضع معين داخل بيت الأسرة أمر لا يرضي الله ورسوله.

---

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

(٢) أخرجه مسلم.

فالطفلة التي تفتح عينيها كل يوم على سيدة تجردت من ملابسها بلا أدنى حياء. أو أدب تموت في نفسها الغيرة على الجسم وعلى العرض، ويرخص لها بالعري، ويقل لديها الحياء!! ونفس الصورة يكون لها تأثير سيء على الطفل ونفسيته في مراحل نموه المختلفة، وهو أمر لا يحتاج مني إلى اسهاب، ثم تأتي خطورة استمراء المسألة والنظر إلى عورات النساء، ومشاهدة الأفلام العارية التي تعرض بواسطة «الفيديو».. وهنا تفسد الفطرة السليمة، وبدلاً من الشعور بالاشمئزاز والنفور من هذه الأمور المهينة، فإن العيون تعتادها وتستمرئها، وهنالك اقتراح لعله يجد قبولاً لدى الأسرة المسلمة[1]:

لقد اعتدنا أن نقدم لكل عروسين صورة لامرأة عارية تحتضن بجعة، أو لا تحتضن شيئاً ليضعها العروسان في حجرة النوم فوق السرير..

فما رأيكم أيها المسلمون ـ لو استبدلنا هذه الصورة العارية، ووضعنا آية كريمة تحمل مثلا قوله تعالى:

﴿ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[2].

---

(١) قدمت هذا الاقتراح في حلقة من برنامجي «زيارة لبيت مسلم» في يناير ١٩٧٩ وكانت الزيارة لبيت فضيلة الشيخ سليمان ربيع.

(٢) سورة الروم: ٢١.

يفتح العروسان اعينهما عليها في كل يوم فتترسخ معنى الآية الكريمة بشكل أو بآخر، ومع الأيام تصبح هذه الآية شعاراً لهما وهدفاً يعملان من أجله.

فاللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

اللهم طهِّر نظرنا بالنظر إلى كتابك الكريم.

اللهم أكرم ابصارنا بالنظر إلى وجهك الكريم.

اللهم كحل عيوننا بمشاهدة رسولك الكريم.. يا كريم.. يا كريم.. يا كريم.

* * *

●● خلاصـة

أولاً ـ التماثيل المرخص بها

١ ـ لعب الأطفال:

(بكافة أشكالها) سواء كانت عرائس أو حيوانات. تحكي كتب السيرة عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: «كنت ألعب بالبنات(أي العرائس) عند رسول الله ـ ﷺ ـ وكان يأتيني صواحب ليَ (أي صديقاتي) فكن يختفين خوفاً من رسول الله ـ ﷺ ـ وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يسر لمجيئهن إلي فيلعبن معي»[1].

(١) أخرجه البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب الانبساط الى الناس ١٤٣/٣.

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً لعائشة: ما هذا؟ قالت: بناتي. قال: فرس له جناحان؟ قالت: أو ما سمعت انه كان لسليمان بن داود خيل لها أجنحة؟ فضحك رسول الله - ﷺ - حتى بدت نواجذه[1].

٢ ـ عرائس الحلوى:

وهي التي يشتريها الأطفال ليلعبوا بها ثم يأكلونها.. وهذه بالطبع بعيدة عن إي تعظيم أو تقديس، بدليل أنها تؤكل في النهاية والغرض منها هو اللهو، وادخال السرور على الأطفال.

٣ ـ التماثيل الصغيرة (الأنتيكات):

سواء الناقصة أو المقطوعة أو المفرغة أو المبالغ في عملها وفي شكلها بحيث تخرج عن الشكل الطبيعي للانسان.

والغرض منها جميعاً التزيين والتجميل لا أكثر ولا أقل، وقد زين سيدنا سليمان قصوره بالتماثيل. قال تعالى يصف قصر سليمان وكيف سخر الله له الجن، فقال:

﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات..﴾[2].

---

(١) أبو داود.
(٢) سبأ: ١٣. وقد سبق شرح معنى المحاريب والجفان والقدور.

ثانياً ـ التماثيل الممنوعة إسلامياً

١ ـ التماثيل التي تعبر عن اشخاص لهم مكانة دينية كالأنبياء والأولياء والقديسين والصالحين.. وذلك حتى لا تتكرر مأساة: «ود، سواع، يغوث، يعوق، نسر» الذين عبدهم الناس بسبب صلاحهم.

كذلك التماثيل الرمزية، كإله الحرب وإله الحب وإله العدل، كما كان يفعل الناس قبل الرسالات السماوية في الحضارة الاغريقية وغيرها.

٢ ـ تماثيل الحكام: وهي التي تصنع لتخليدهم أو تأليههم كما كان يصنع ملوك مصر، فلقد كانوا يصنعون التماثيل لتأليههم، وضمان استمرار ديانتهم.. قال تعالى:

﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾[1].

وقال تعالى عن فرعون:

﴿فحشر فنادى فقال: أنا ربكم الأعلى﴾[2].

وعموماً فإن تماثيل الحكام المفروض فيها أنها تعمل حباً لهم وتقديراً لجهودهم وتخليداً لذكراهم حتى لا تنساهم الشعوب.

---

(١) القصص: ٣٨.

(٢) النازعات: ٢٤.

ولو أن صناعة التماثيل مكرمة حقيقية لكان أولى بها الأنبياء، ولأوصى بها رسول الله ﷺ لنفسه أو لخلفائه.. ان التخليد الحقيقي هو تاريخ الانسان وعمله وانجازاته وسيرته بعد مماته وانتهاء سلطانه وصولجانه. فإن كان عمله مشهوداً له بالخير فهنيئاً له. فقد دخل الخلود من أوسع أبوابه. ان الخلود الحقيقي في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أما ان كان عمله شراً ولهواً وزهواً.. وصنع له المنافقون ألف تمثال، فان الشعوب والأجيال تلعنه بعد وفاته، فضلا عن اعتباره رمزاً للظلم والظلام والإذلال.. ومصيره دائماً إلى متحف الآثار..

ان التخليد في الدنيا - اذا ابتغيناه - يصنعه الحاكم العادل في ضمير الأمة يوماً بعد يوم حين يسهر على استتباب العدالة، ويتفانى من أجل اسعادها، ويحكم بشرع الله في كل صغيرة وكبيرة من أجل خيرها وعزتها. وفي هذه الحالة، فإن وفاء الشعوب يكون حقيقياً لا رياء فيه.

اننا لا زلنا رغم بعد الزمن، وانشغالنا بمشكلات الحياة اليومية، نذكر بكل الاجلال والاعتزاز مواقف عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز كحكام ضربوا أروع الأمثلة في الاحساس بأمانة الحكم وعظم المسؤولية أمام الله والتاريخ والشعوب..

فمن أراد الخلود في الدارين - الدنيا والآخرة - عليه باتباع

منهج الأنبياء والخلفاء الراشدين. وصدق الله العظيم اذ يقول:

﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾[1].

٣ ـ أما بالنسبة للتماثيل التي تصنع للعلماء والمفكرين، فانهم في غنى كامل عن هذا الجهد، لأن النبي - ﷺ - يقول:

«اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[2].

والعلماء يتركون العلم الذي تنتفع به الأجيال، وربما تركوا إلى جوار ذلك عملا خيرياً وهو الصدقة الجارية، وربما أكرمهم الله بالولد الصالح.

٤ ـ التماثيل العارية: قال ﷺ: «الحياء شعبة من شعب الايمان»[3].

والتماثيل التي تجسد عورات الرجال أو النساء تميت الحياء، وتحارب غض البصر الذي أمرنا به كمسلمين، والأمر لا يحتاج مني إلى اسهاب، فان صناعة هذه التماثيل لا يقبلها مؤمن قط.. لا تحت بند الفن ولا تحت بند الجمال. وقد تقبل تحت بند الإباحية وقلة الحياء والاستهتار والعياذ بالله!

---

(١) طـه: ١١٢.

(٢) اخرجه ابن ماجه في المقدمة ـ باب ثواب معلم الناس الخير ـ ١/١٨٨ ـ وفي الزوائد ما يقتضي انه صحيح.

(٣) اخرجه البخاري ـ كتاب الايمان ـ باب أمور الايمان ـ ١/٥٧ وهو متفق عليه.

أنـواع الصـور

أولا: الصور المحرمة[1]

١ ـ الصور الدينية:

- صـورة الأنبيـاء وزوجـاتهم وأبنـائهم وبنـاتهم واحفـادهم والملائكة. . ووقفة أيها الأخ الكريم، حيث لا يسمح علماء الدين برسم صور لهذه الشخصيات الحقيقية أو المعنوية، نجد أن كل فنان يختلف في تصـوره لهـذه الشخصيـة، وكـل منهـم يتصـورهـا بمقدار ايمانه الشخصي. فهناك من رأى رسول الله - ﷺ - فلم يلحظ إلا أنه يتيم أبي طالب كأبي لهب، ومن الناس من رأى رسول الله ﷺ - فرآه بشراً يوحى إليه[2]. وهذا الاختلاف راجع إلى مستوى كل راء، فاذا سمحنا للفنانين بالرسم فسوف يخرجون علينا بأشكال، هي في الحقيقة نفوسهم من الداخل ومستواهم العقائدي. وقد لا يقف البعض عند حدود الأدب والدين، وذلك اذا كان من الملحدين أو المستهترين. . وما أكثر هؤلاء وأولاء.

---

(١) نعني بالصور ما ليس له ظل، وبالتماثيل ما له ظل، ويطلق على الجميع لغويا: صورة.

(٢) انظر كتاب الامام الراحل الشيخ عبد الحليم محمود ـ الرسول سيته وشريعته.

أذكر أنني ذهبت منذ عشر سنوات الى احدى المدارس الايطالية «الراهبات» وذلك لاستلام ابني الصغير عند انتهاء اليوم الدراسي.. وقد لاحظت صورة ملونة بالحجم الكبير، وضعت في مدخل السلم المؤدي الى حجرة الناظرة، وكانت الصورة لامرأة ترتدي ثوباً عاري الصدر، وقد تركت شعرها الأحمر المجعد ثائراً فوق رأسها وعلى اكتافها.. وتعجبت، فالمدرسة مدرسة راهبات ملحق بها كنيسة.

وقلت لإحدى الراهبات: من هذه السيدة؟ فأجابت على الفور: مريم البتول!

وكم كانت دهشتي.. والتفت اليها، وقلت لها فوراً. وهل تعتقدين أنك أكثر حياء وعفة وحشمة من سيدة نساء العالمين؟! انك كإنسانة متدينة تحرصين على ستر جسمك، فكيف يعقل أن تكون السيدة مريم قد ظهرت هكذا أمام الناس؟!

ـ قالت مندهشة من شدة غضبي: ان هذا مجرد رسم وليس الحقيقة.

قلت لها على الفور: وكيف تسمحون بتعليق صورة تجافي الحقيقة.. بل تشوهها؟!!

قالت هذه رؤية الفنان وتصوره.. وهذا الفنان (مودرن) أي عصري؟!

ازداد عجبي وألمي، وقلت لها: أو تخضع الشخصيات

الدينية لأهواء الفنانين واتجاهاتهم؟ ولا شك أننا سنصل إلى اليوم الذي نمسخ الشخصية تماما؟ ارجو إزالة هذه الصورة فوراً، احتراماً وتقديراً لحقيقة السيدة مريم الطاهرة.

وقالت غاضبة: وما دخلك انت ومريم.. ألست مسلمة تؤمنين بمحمد؟

قلت لها متماسكة نفسي: نحن المسلمين اولى بعيسى عليه السلام ومريم الطاهرة.. اننا لا نسمح بهذه الصورة ابداً.. اننا نؤمن بعيسى عليه السلام، والإنجيل، وموسى عليه السلام والتوراة، إن حقيقة عيسى عليه السلام، وحقيقة السيدة مريم محفوظة عندنا في القرآن الكريم، ولدينا سورة باسم مريم وأخرى باسم آل عمران، وسيظل القرآن الكريم يحفظ مكانة الأنبياء الحقيقية على مدى الدهر.

ثم اخذت ابني وانصرفت...

وأعود فأقول لو اننا سمحنا برسم هذه الشخصيات على حسب أهواء وشطحات الفنانين على مر العصور فسوف نسمح بالتبعية لبعض الممثلين من تمثيل هذه الشخصيات،وسندخل في مهازل كما دخل الغرب. يكفي ان اذكر للقارىء الكريم اني رأيت سنة ١٩٧٤ مسرحية في لندن بعنوان المسيح عليه السلام. وكانت مؤامرة هزلية أُريد بها القضاء على فكرة الأديان من الأساس. وقد كان الممثل الذي أخذ دور عيسى عليه السلام يشرك الجماهير معه في السخرية من الأديان! والمجال هنا لا

يتسع لنماذج اخرى. ـ حفظنا الله منها.

٢ ـ الصور الفاضحة أو المثيرة:

وقد سبق الحديث عنها، وصاحبها ينطبق عليه قول رسول الله - ﷺ -:

«ان أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون».

ثانياً ـ الصور المباحة

١ ـ الصور الفوتوغرافية لحاجة المجتمع اليها (البطاقة - جواز السفر وما إلى ذلك.. وهو ما يطلق عليه في الفقه (المصالح المرسلة).

٢ ـ المناظر الطبيعية بكافة أشكالها في الجو والأرض والبحر.

٣ ـ صور الحيوانات التي توضع في حجر الأطفال بغرض التعليم.

٤ ـ صور الآلات الحديثة والعمارات العالية، أي الجمادات بجميع أنواعها.

٥ ـ كسوة الحوائط بالصور، فليس هناك أمر صريح يدل على تحريمها. ففي الحديث الذي رواه مسلم: «ان الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين». قال النووي، وليس في الحديث ما

يقتضي التحريم لأن حقيقة اللفظ أن الله لم يأمرنا بذلك، وهذا يقتضي أنه ليس بواجب ولا مندوب ولا يقتضي التحريم[١].

كذلك حين رأى - ﷺ - الستر الذي يحتوي على تمثال طائر قال لها: حوّلي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا[٢] وهنا نلاحظ أن رسول الله لم يقل لعائشة امتهني هذا وشوهيه، أو ألقيه في القمامة، ولكن قال لها حولي هذا أي ضعيه في مكان لا يشغل قلب المصلي، وكذلك قال لها في حديث القرام (الستر) الذي سترت به باب البيت، أميطيه عني، فإنه لا تزل تصاوير تعرض لي في صلاتي[٣].

وبذلك أقر رسول الله - ﷺ - وجود الستر وبه التمثال الطائر والقرام وبه التصاوير.. ولكن ليس في القبلة - أي مكان الصلاة - والله تعالى اعلم.

* * *

(١) الحلال والحرام - للقرضاوي.
(٢) اخرجه مسلم.
(٣) البخاري.

اقتنـاء الكلاب!

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: واعد رسول الله - ﷺ - جبريل عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءه تلك الساعة ولم يأته وفي يده عصا، فألقاها من يده، وقال:

ما يخلف الله وعده ولا رسله، ثم التفت فاذا كلب (جرو) تحت سريره فقال: يا عائشة متى وصل هذا الكلب ها هنا؟ فقالت: والله ما رأيت، فأمر به فأخرج، فجاء جبريل، فقال رسول الله - ﷺ - واعدتني فجلست لك فلم تأت. فقال جبريل منعني الكلب الذي كان في بيتك. إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب أو صورة[1].

وكون النبي ﷺ - قد نهى المسلمين من اقتناء الكلاب في المنازل، أي داخل البيوت، فهذه أمر يدركه كل عاقل.

فلو قسنا حديث رسول الله - ﷺ - على ما يحدث بالفعل في بعض الشقق لرأينا بأعيننا:

---

(١) سنن ابن ماجة - كتاب اللباس ٣٢.

١ ـ أن الكلب يتبول في كل ركن من أركان المنزل فينشر رائحة البول الكريهة.

٢ ـ انه يتبول فور سقوط اي شيء على الارض فتتسخ الأشياء.

٣ ـ انه يتبرز في الأماكن الهادئة المغلقة مثل الصالونات، فيفسد السجاجيد، ويفسد الجو العام.

٤ ـ اذا اصيب بالامساك راح يمسح أسفله في السجاجيد حتى يعين نفسه على التبرز، فليوث أماكن الصلاة.

والخلاصة:

أنه بعد اقتناء الكلب بخمسة أو ستة اشهر سيتحول البيت الى دورة مياه غير نظيفة

٥ ـ من طبيعة الكلاب انها تقوم بحركات حيوانية جنسية من آن لآخر أمام انظار الجميع، وقد تفتح هذه الحركات عقول وأعين الأطفال على أمور من المستحسن ارجاؤها الى سن البلوغ.

٦ ـ أنف الكلب ولعابه يحملان ألواناً من (الميكروبات) والنجاسات لا حصر لها.

ويكفي أنه يشم وينظف اعضاءه التناسلية بلسانه، ثم يأكل في الصحون، ويلعق صاحبه.

من أجل ذلك قال ـ ﷺ ـ: «اذا شرب الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا»[1].

٧ ــ والكلب في البيت ينبح كلما سمع صوت قادم، فيروع الأطفال والكبار، ويخيف الضيف، وقد يؤذي المارة[2].

٨ ــ والكلب بالاضافة الى ما يحمله من لعاب وميكروبات، فانه ـ ومن خلال الطب الحديث ـ نعلم أن الكلب يجذب كافة الحشرات الضارة مثل البراغيث والقراع... الخ.

قال لي الصحفي الكبير «احمد بهجت»[3] غاضباً:

ــ كيف تقسون على الكلاب وتعدمونهم في الشوارع وهم أوفياء، وقد يكونون أحياناً أكثر وفاء من الانسان؟ أين الرحمة؟ اين الرفق بالحيوان الذي أُمرنا به؟ ألا تعلمون أن رجلا دخل الجنة بسبب كلب رآه يلهث من شدة العطش في الصحراء، فنزل الى بئر وملأ خفه بالماء ثم سقى الكلب فغفر له؟[4].

---

(١) اخرجه البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب اذا شرب الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا ـ ١/٢٨٥، ٢٨٦.

(٢) د. يوسف القرضاوي ـ الحلال والحرام في الإسلام.

(٣) صاحب كتاب قصص الأنبياء ـ للكبار والاطفال ـ ويوميات صائم، وهو مفكر واديب، وله باب يومي في صحيفة «الأهرام» يظهر بالصفحة الثانية تحت عنوان «صندوق الدنيا» ـ وهو ايضاً من محبي القطط والكلاب يربيها داخل شقته ويعتني بها بنفسه.

(٤) معنى حديث اخرجه البخاري.

قلت لهم: نعم هذه قصة حقيقية.. ورسولنا الكريم لم يأمرنا بالقسوة عليها أو اعدامها، فقد قال - ﷺ -: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»[1].

ولكن رسولنا نهانا عن اقتناء الكلاب داخل البيوت - وضع خطاً داخل البيوت - ولكنه أقر اقتناءها في الصيد والحراسة، أي خارج البيت في الحدائق والمزارع، وذلك ترفقاً بنا نحن. للأسباب التي ذكرتها.

* * *

(١) الترمذي - كتاب الصيد - باب ما جاء في قتل الكلاب - ٣/٢٣ - ٢٤.

عمـل المـرأة

طرحت في احدى حلقات برنامجي التليفزيوني (هدى الله) هذه التساؤلات:

ايها الإخوة والأخوات:

أريد منكم ولو للحظات ان تنظروا معي الى كل فتاة على انها ابنتكم، والى كل شابة على انها زوجتكم، والى كل متقدمة في السن على انها والدتكم.. ثم تأملوا معي ملياً:

ـ هل ترضى يا سيدي تمام الرضا اذا ما عملت ابنتك جرسونة في المحلات العامة تحمل للزبائن الأجانب ما يشتهون وهي ترتدي الملابس التي يشترط فيها أن تكشف أكثر مما تستر؟.

ـ هل تستريح يا سيدي حين تعمل ابنتك ساعية بريد (بوسطجية) تقضي النهار في الشوارع بحثاً عن العناوين لتوصيل الخطابات الى المنازل؟

ـ هل تحبين يا سيدتي أن تعملي محصلة (كمسارية) توزع التذاكر على الركّاب وتقبض ثمنها وسط الزحام المهين المرير؟!.

ـ هل تتمنى لنفسك أو لأختك، أو لابنتك أن تعمل سائقة تاكسي أو لوري بالليل والنهار، وتتعرض لأشياء تراها الفطرة السليمة أعمالاً لا تليق إلا بالرجال؟

ـ هل تستبشرون يا سادة حين ترون فتيات صغيرات في عمر الزهور يقفن على قارعة الطريق للقيام بعمل شرطي المرور، وسط الغبار والشمس المحرقة وضجيج العربات وفحش القول، وفجر النظرة؟

تعالوا نسأل أنفسنا: هل يعتبر هذا نصراً للمرأة؟ وهل نحن في حاجة اليه؟

أهي قلة رجال يا سادة؟

ـ وهل اكتفت المستشفيات بالممرضات والمدارس بالمدرسات والمربيات؟

ـ هل نحن في حاجة الى عاملات المحلات التجارية والمقاهي والمطاعم فعلا؟

الاجابة عن كل ما تقدم هي:

ـ لا!!.

اذاً فما هو السر فيما يجري ويحدث؟

ببساطة شديدة ـ السر يكمن في التقليد الأعمى والأصم والأبكم لدول فقدت رجالها في الحرب فاضطرت المرأة أن تقوم

بما يقوم به الرجال!.

ان الرجال مزودون بطاقة الكدح والمعاناة والعمل الموصول، وهذه الطاقة أهلّتهم لتحمل تبعات القوامة، فالرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم «أي بتحمل مسؤولية الانفاق» وبما فضل الله بعضهم على بعض في القدرة الجسمانية وتحمل المشاق وتلقي الصعاب والضرب في الأرض والكدح في الحياة، وبما ألزمهم المولى عز وجل من واجبات عائلية، مثل الانفاق على الأم والأخت اذا لم يكن لها مورد، أو الانفاق على ابناء وبنات الأخ اذا لم يكف المورد. وهكذا..

وشريعة الله لم تحرم المرأة حق العمل اذا دعت اليه ضرورة شرعية أو اجتماعية، أي حسب ظروف المرأة التي ليس لها عائل أو المتوفى عنها زوجها وليس لها مورد ولا أخ يتكفل بها، مع مراعاة أنه في ظل تنفيذ أحكام الإسلام، ستتحمل الدولة هذه المرأة التي فقدت عائلها ولن تعرّضها لحاجة، فالرسول ﷺ كرئيس دولة يقول:

«من مات فماله لورثته، وعياله علي ـ أي على الدولة»[1].

---

(١) اخرجه البخاري ـ كتاب الاستقراض ـ باب الصلاة على من ترك دينا ٥/٤٥٨. ونص الحديث «من ترك مالا فلورثته، ومن ترك كلاً فإلينا» قال الشارح: كلاً أي عيالاً أو ديناً.

كذلك اذا كانت الدولة في حاجة الى نوع عملها، واذا كان المكان لا يستغني عنها مع مراعاة توزيع الأعمال حسب طبائع الجنس وقوة الاختصاص.. فأعطيت المرأة حق العمل، ولكن.. أي عمل؟؟

العمل الذي يحفظ عفتها وكرامتها ودينها، وليس العمل الذي يمتهنها، ويعرِّضها لما تأباه كل نفس حرة كريمة، وليس العمل الذي يستنفد كل طاقاتها، فلا يتبقى أي شيء يمكن ان تعطيه للرسالة التي خلقت من أجلها ولا يملك الرجل القيام بها.

ونحن هنا نقرر انه ليس معنى تعليم المرأة انها اصبحت تملك خصائص الرجل أو أنها فقدت خصائص الأنثى، فأرجو ألا ننسى أو نتناسى ذلك حتى لا نفقد الاحساس برسالتنا التي خلقنا من أجلها وهي رسالة عظيمة الشأن تحتاج إلى كل قوانا وطاقتنا ووقتنا وأعصابنا.

واذكر هنا كلمة حق قالها الصحفي الكبير (مصطفى امين) في عموده المشهور (فكرة) فهو يقرر:

«ان المرأة قديماً كانت أسعد حالا من الان، فلقد كانت تمارس مهام الزوجية، وتبعات الأمومة ومسؤوليات المنزل بصدر رحب وبحب عميق وبلذة فائقة. تشيع في البيت المودة والرحمة، أما المرأة العصرية فهي تمارس وظيفة كوظيفة الرجل تماماً ثم تعود إلى منزلها مكدودة مشدودة، عصبية المزاج منهكة

القوى لتواجه رسالة أخرى في انتظارها، تمارسها ولكن بنفس متعبة وجسد منهك وأعصاب منفلتة وعواطف متقلصة ضائعة، فلم تعد تشعر بلذة الخدمة في بيتها ولا بهناء وسعادة في رعاية ابنائها..».

لحظات من المواجهة الصريحة والصدق مع النفس ندرك بأنوثتنا وحاستنا التي لا تخطىء أننا خلقنا لإقامة بيت هو مملكتنا، والحياة بحلوها ومرها، وعملنا في هذه المملكة بعيد المدى، بإننا وحدنا نملك أن نشيع فيه السكينة والرضا. ولكن: هل يجدي مع هذه المملكة عوض اذا تمردنا على رسالتنا الأساسية وهي صناعة الرجال، والوقوف وراء الرجل العظيم؟!

ختمت احدى حلقات برنامجي «هدى الله» الذي قدمته خلال تسع سنوات في تليفزيون جمهورية مصر العربية، بهذه الكلمات، ولكني فوجئت في اليوم التالي. بمنعي من تقديم البرنامج، ثم استدعتني السيدة رئيسة التليفزيون، وفوجئت بها ثائرة غاضبة تقول لي:

ـ اتستشهدين بآيات قرآنية لمنع المرأة من العمل لشل حركة البلد، واذا كنت تمنعين المرأة من العمل، فاستريحي انت في بيتك. لقد أخذنا منك البرنامج. ثم نادت السيدة المسؤولة عن الرقابة، والتي حضرت بسرعة، ومعها تقرير تناولته منها لأتصفحه، وكم كان عجبي وأسفي على ما كتب فيه، وبسرعة

أخرجت ورقة وقلما ونقلت هذه الجملة المضحكة المبكية:

«يزيد على ذلك ان مضمون الحلقة يمكن أن يؤدي إلى بلبلة الأفكار، خاصة وان السيدة مقدمة البرنامج تستشهد بآيات قرآنية... تؤدي إلى مناقشات لا يحمد عقباها في الجماعات الإسلامية المتطرفة.. والتي تنتهز أي فرصة لإظهار افكارها المسمومة المدمرة».

ثم ختمت السيدة المراقبة كلامها بالآتي:

«لا داعي لإذاعة هذه الحلقة مرة اخرى، وعدم التعرض لهذا الموضوع مستقبلاً».

أي عمل المرأة والالتزام بالزي الإسلامي.

ويمكن للقارىء ان يتصور بعد ذلك بقية القصة، فقد منعت من تقديم البرنامج، ولكن والحمد لله لم أُمنع من تقديم البرنامج الآخر... وربنا يستر!.

والذي يجب أن نلفت النظر إليه أن الإسلام لم يحرِّم عمل المرأة ولم يمنعها من حقها في الكسب، فلقد كانت السيدة زينب بنت جحش زوج النبي - ﷺ - تعمل في دباغة الجلود كما سبق وبينّا في بداية الكتاب.

ولم يمنعها رسول الله - ﷺ - ولكن الإسلام جعل المرأة سيدة بيتها وحاضنة ابنائها وحليلة زوجها، وجعل الرجل مسؤولا

عن الانفاق، ومن هنا كانت القوامة. - ولكن اذا جدت ظروف اجتماعية كوفاة الزوج وقلة الموارد، فالمرأة هنا لها ان تخرج لعمل مناسب وشريف وبصورة طيبة مشرفة تحفظها من الناس، وتحفظ المجتمع من الفتنة لا أكثر ولا أقل.

يقول الشيخ «محمد الغزالي» في كتابه «ضوء على تفكيرنا الديني في مطلع القرن الخامس عشر الهجري» يقول في معرض تأييده لعمل المرأة الاجتماعي والتعليمي والصحي:

«أعرف الآن نساء يقمن بعمل رحب في خدمة بيوت الطالبات وانشاء المؤسسات الصحية والثقافية في مقدمتهن السيدة الجليلة (زهيرة عابدين)[1] الاستاذة بكلية الطب بجامعة القاهرة وقد استعانت بي في فتوى متواضعة لتمنع متخرجة في الصيدلة من القعود في البيت والارتزاق من آلة خياطة لأن أحد المشايخ قال لها: «ان المرأة لا يجوز لها أن ترى أحداً ولا يراها أحد!!».

قلت لها: صاحب هذه الفتوى مخبول لا يعرف الإسلام..

(١) د. زهيرة عابدين، نالت درجة العضوية لكلية الأطباء الملكية بلندن عام ١٩٤٨، ودرجة الزمالة الفخرية بها عام ١٩٧٤، والدكتوراه الفخرية في عالم الطب من جامعة ادنبره عام ١٩٨٠، وهي رئيس قسم الأطفال بطب القاهرة، ولها أنشطة اجتماعية انسانية منها مثلاً: تأسيس جمعية أصدقاء روماتيزم القلب للأطفال عام ١٩٥٦ والحقت بها مستشفى، ومعهد صحة الطفل بوحداته المتعددة، ومدارس الكمال الإسلامية، أول مدارس لغات إسلامية في العالم الاسلامي، ومعهد لإعداد المدرسات المسلمات.

بل هو وأمثاله قرة عين لأعداء الإسلام، فلا يحرِّم الإسلام على المرأة أن تبيع وتشتري، وأن تتعامل مع الناس ما دامت مستترة في زيها الإسلامي متأدبة بآداب الإسلام غير متبرجة بزينة تحفظ نفسها وعرضها من الذئاب.

* * *

(أ) رسالة إلى أختي السافرة

أختي السافرة ....(جيلان حمزة)

إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة، فهو رحيم بعباده رءوف بالمؤمنين، وما من أمر أمرنا به المولى عز وجل إلا وفي طاعته الخير كل الخير، وما من نهي نهانا عنه الله إلا وفيه شر على المدى البعيد، والقريب، والإسلام أيتها الأخت الكريمة كما تعلمين:

١ ــ كرَّم المرأة وليــدة.. فمنع وأدها أو حتى سوء استقبالها ﴿وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾[١] ﴿وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾[٢]

٢ ــ وكرَّمها طفلة فسوَّى بينها وبين أخيها في المعاملة.

فقال ﷺ:

---

(١) التكويــر : ٩١ .
(٢) النحــل : ٥٨.

«من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة»[1].

وقال: «إنما النساء شقائق الرجال»[2].

٣ ـ وكرّمها فتاة فأعطاها حق التعليم «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[3].

٤ ـ وأعطاها بعد التعلم حق اختيار الزوج، فقال ﷺ:

« لا تزوّج البكر حتى تستأذن ولا الأيم حتى تستأمر»[4].

٥ ـ وأعطاها حق الميراث، وكانت تورث هي كالمتاع فأصبحت ترث مثل الرجل. وإن كان للذكر مثل حظ الانثيين، وذلك لأن الإسلام:

٦ ـ كرّمها عروساً فأوجب لها نظام الصداق، وهو المهر هدية لها ورمزاً لتقديرها ورغبة فيها، ومبلغاً يعاونها في شراء لوازمها، وأعطاها حق التصرف فيه كيفما شاءت.

٧ ـ وكرّمها حين منحها حق حفل الزفاف، فقال ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ـ باب فضل من عال يتيماً ـ ٤/٣٣٧٧.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي وابن حنبل والدارمي.

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة ـ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ـ ١ / ٨

(٤) البخاري ـ كتاب النكاح ـ باب لا ينكح الأب وغير البكر والثيب إلا برضاها ١١/٩٧.

«أعلنوا هذا النكاح»[1] وقال: «أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال»[2]. وقال: «أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف»[3]، وقال: «أولم ولو بشاة»[4].

٨ ـ وكرّمها الإسلام زوجة فجعل الرجل مسؤولاً عن مسكنها ومأكلها ومشربها وملبسها واحضار الخادم لمعونتها.

٩ ـ وكرّمها أمّاً، فجعل الجنة تحت أقدامها.

١٠ ـ وكرّمها عاقراً، حين سمح للرجل بالتعدد، فاستطاعت الزوجة الحفاظ على بيتها وكرامتها وزوجها.

١١ ـ وكرّمها غاضبة حين منحها فرصتين تراجع فيها نفسها وتستخدم فيها أسلحتها، وتصلح من شأنها في الفترة بين الطلقة الاولى والثانية وبين الثانية والثالثة.

١٢ ـ وكرّمها الإسلام مطلقة حين أعطاها حق النفقة والمؤخر والحق في أثاث المنزل. ثم بعد ذلك حق الزواج بعد العدة.

١٣ ـ وكرّمها أرملة حين أعطاها حق الإرث وحق الوصاية وحق الزواج بعد العدة.

---

(١) رواه أحمد والطبراني والترمذي والبزار ورجاله ثقات (مجمع الزوائد).
(٢) رواه ابن ماجه وفي إسناده من اتفقوا على ضعفه ونسبه بعضهم إلى الوضع.
(٣) رواه البيهقي والترمذي وقال غريب. وفيه من هو منكر الحديث أو ضعيفه.
(٤) رواه الجماعة إلا النسائي.

١٤ ــ وكرَّمها كارهة لعشرة الرجل حين منحها حق (الخلع) وهو التنازل عما تكبده الرجل من أجلها مقابل الحصول على الطلاق.

١٥ ــ وكرَّمها حين أعطاها حق العمل الشريف الذي يحفظ عليها كرامتها ودينها وعفتها.

١٦ ــ وكرَّمها غير قادرة على العمل حين جعل المسؤول عنها الأب ثم الزوج أو الأخ أو العم أو الخال.. إلى آخر التدرج، فإن كانت وحيدة غير قادرة على العمل فالدولة مسؤولة عن الانفاق عليها.

١٧ ــ وكرَّمها حين أعطاها في كل الظروف استقلالاً مادياً كاملاً في ممتلكاتها بيعاً وشراء واستغلالاً.

وفي مقابل كل هذا التكريم أمرنا بالتزام السلوك الإسلامي.

١٨ ــ فكرَّمنا الله وكرمنا رسوله حين حافظ علينا وحمانا، وجعلنا في زي يباهي به الله ملائكته. زي هو لباس أهل الجنة، «زي يضفي على المرأة قدسية وجلالاً وجمالاً ويجعلها محاطة بهالة من الطهر في الحس والخيال، زي رفع ذوق المجتمع وطهر إحساسه بالجمال»[١]، مع ما تتحلى به من سلوك إسلامي قويم. فهو أولاً التزام داخلي قلبي تقي، وثانياً التزام خارجي مظهري نقي.

---

(١) سيد قطب ـ في ظلال القرآن.

الجمـــال الحقيقـي:

أختـي : ألسـت معي أن جمال الكشف والتعري الجسدي جمال حيواني يهفو إليه الإنسان بحس الحيوان؟؟.

أختـــي :

عندما يأمرنا رب العزة بوضع الخمار، فيقول تعالى:

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾[1].

والخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو فتحة العنق، واللام لام الأمر، والأمر من رب العزة الذي يقول:

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾[2].

وعندما يأمرنا الواحد القهار:

﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[3].

والجاهلية الأولى كانت لا تحكم الخمار فينزلق وينكشف جزء من العنق والأذن والشعر، عندما نعلم أن رسولنا الكريم يقول لأسماء بنت أبي بكر:

«يا أسماء إذا بلغت المرأة المحيض لم يصلح أن يرى منها

---

(١) سورة النور : ٣١ .
(٢) سورة الأحزاب : ٥٩.
(٣) سورة الأحزاب : ٣٣.

غير هذا وأشار إلى وجهه وكفيه»[1].

عندما نسمع أمر الله ورسوله:

أيصلح أن نستجيب لدعاة الموضة؟! ولا نستجيب لدعوة الحق تبارك وتعالى؟!.

أيجوز أن نخشى الناس والله أحق أن نخشاه؟!.

أيليق بنا أن نجادل في أمر الله؟!.

أيصلح أن نقول: إن الخمار يشعرنا بالحر؟!.

﴿قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون﴾[2].

لا ..... وألف لا ... ولكن:

عندما نسمع صوت الرحمن نقول: سمعنا وأطعنا ولا نجادل. ولنتحمل في البداية بصدر رحب عنت المتعنتين وسخرية الجاهلين... من أجل أن نستشعر برد اليقين، من أجل أن نصل إلى رب العالمين. سنتحمل ونقول لهم:

« اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون» ولنتوجه إلى الله بكل جوارحنا قائلين:

وليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب

---

(١) رواه أبو داود عن عائشة وهو مرسل، ابن دريك لم يدرك عائشة.

(٢) التوبة : ٨١.

وليت الــذي بيني وبينـك عــامــر
وبيني وبين العــالــمين خــراب
إذا صــح منك الــود فــالكـل هين
وكـل الـذي فــوق التـراب تــراب

أختــي :

أهمس في أذنك، بيني وبينك . .

إننا بطاعة الله في سعادة لو يعلمها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف.

إصغي . . اسمعي صوت الـسماء:

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾.

﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها، ومن يتعد حدود الله، فأولئك هم الظالمون﴾[1].

ـ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ـ

﴿ومن يـطع الله ورسولـه ويخش الله ويتقه فـأولئـك هم الفائزون﴾[2].

ـ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ـ .

﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون. ويلٌ لكل أفاك أثيم، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم

(١) سورة البقـرة.
(٢) سورة النور : ٥٢.

يصرُّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم﴾[1].

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾[2]... هكذا يذكرنا القرآن:

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدَّبَّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾[3].

﴿ومن أظلم ممن ذُكِّر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾[4].

ـ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ـ

﴿واتَّبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرَّطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾[5].

ويرد الله سبحانه على هذه النفس فيقول:

---

(١) سورة الجاثية : ٦، ٧، ٨٢ .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٩.

(٣) سورة (ص) : ٢٩ .

(٤) سورة السجدة : ٢٢ .

(٥) سورة الزمر : ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨.

﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾[1].

ـ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ـ

﴿ولقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون. أم أبرموا أمراً فإنّا مبرمون، أم يحسبون أنّا لا نسمع سرهم ونجواهم، بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾[2].

ـ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ـ

ـ يدنين عليهن من جلابيبهن ـ

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[3].

فاذعني لأمر الله تربحي الدارين.

**. ** . . ** . . **

---

(١) الزمر : ٥٩.

(٢) الزخرف : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠.

(٣) سورة الأحزاب : ٣٦.

(ب) رسالة إلى أختي المحجبة

أختي المحجبـــة .... (وجدان حمزة)

عزيزتـــي الأخت المحجبة التي التزمت بـالزي الإسـلامي والتي جعلت الله غايتها فاتجهت إليه.. أهـلاً بك على درب الإسلام.. وما أجمل أن تتجه الأخت المسلمة في هذا العصر إلى الله.. هذا العصر الذي قال فيه رسول الله ﷺ:

«يأتي على أمتي زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمـــر»[1].

فأي نار وأي جمر تقبض عليه المرأة المسلمة حين تقف ضد التيار.. تيار المجتمع العالمي الجارف.. فتعتصم بالله ورسوله.

ولكن دعيني أيتها الأخت المحجبة أسر لك بكلمات خالصة مخلصـــة.

إياك والغرور بالله.. أو الثقة المتناهية في نفسك، فإن هذا الحجاب فضل من الله عليك.. حباً لك.. فلقد قال ﷺ:

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجـه وابن حنبـل.

«يعطي الله الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب»[1].

فاعلمي جيداً أن الفضل فضل الله، وإياك والغرور، والإحساس بأنك قد اخترت هذا الطريق بحولك وقوتك، فنقعي من حيث لا تدرين في تزكية نفسك على بقية العباد.

يقول الله تعالى:

﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾[2].

فإن شعرت بتميزك وأفضليتك على الناس كان هذا بداية الخطر، حيث يمكن أن يتسرب إلى نفسك الغرور الممقوت عند الله وعند عباد الله. . . .

وسينعكس هذا الغرور على تصرفاتك فتتعالين على الناس، ويبدو ذلك في طلعتك ونظرتك ومشيتك المتعالية المتعجرفة، والله تعالى يقول:

﴿ولا تصعِّر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحاً، إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾[3].

ويقول سبحانه :

﴿ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن

---

(١) أحمد ـ ١ / ٣٨٧.

(٢) سورة النجم : ٣٢.

(٣) سورة لقمان : ١٨.

تبلغ الجبال طولاً﴾[1].

ويقول ﷺ:

«من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبّه الله على وجهه في النار»[2].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[3].

فاحذري الكبر واحذري الخيلاء، وتواضعي لله والناس، فمن تواضع لله رفعه، وثبّت على الإيمان قلبه.

واعلمي أختي المحجبة أنك بهذا الزي قد أعلنت على الملأ المصالحة مع الله.. وأصبحت بفضل الله من حزب الله، ولم يصل الأمر إلى هذه الدرجة فقط، بل أصبحت.. أردت أم لم تريدي ممثلة للإسلام، فإن تعلمت وتثقفت وتواضعت نسب ذلك إلى الإسلام.. وإن اغتبت أو جهلت أو أسأت نسب ذلك إلى الإسلام أيضاً. وسواء كان الإسلام حجة لك أو عليك فإن غالبية الناس ينسبون أفعالك وأقوالك ونواياك للإسلام.. لأنك قد أعلنت ذلك وجهرت بالانتماء إلى الله وحزبه وعلى ذلك فعليك:

---

(1) سورة الإسراء: ٣٧.

(2) أحمد ـ ١ / ٣٩٩.

(3) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حنبل.

١ ــ إذا مات أحد المعارف.. فأنت أول المعزّين، وعليك أن تدرسي مشكلة أهل الميت، فإن كانوا في حاجة إلى مال جمعت لهم هذا المال، وإن كانوا في حاجة إلى مساعدة كنت أول المتقدمين.

٢ ــ وإن مرض أحد الأقارب فأنت أول الزائرين.. فإن كان يعاني ظروفا مادية قاسية، فلا بد من أن تنزعمي جمع المال اللازم له.

٣ ــ وان كان في العائلة أرملة أو مطلقة فأنت أولى بالزيارة والرعاية لها بل والبحث عن زوج لمن هي في حاجة لذلك.

٤ ــ وان كان في العائلة يتيم، فأنت أقرب الناس إليه، يحكي لك آلامه وآماله وتحاولين حل مشكلاته، وتجمعين حوله القلوب الطيبة من الأقارب والمعارف.

يقول ﷺ:

«الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله». وأحسبه قال: «كالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر»[(١)].

٥ ــ وان جالست أحد المنحرفين أو الضالين فعليك العلاج برفق، والأمر بالمعروف بسياسة، والنهي عن المنكر بكياسة وذكاء.. واعلمي أنك تنتسبين إلى خير أُمة أُخرجت للناس بقدر

---

(١) البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب الساعي على المسكين ـ ١٣/٤٤

أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر.

فالعصاة مرضى القلوب وعلينا واجب العلاج، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فإن أبوا واستكبروا.. فالله تعالى يقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم﴾[1].

***... ***... ***

٦ ـ وعليك أختي المسلمة بالبشاشة دائماً وبسط الوجه فرسول الله ﷺ، يقول:

«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»[2].

«وان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم»[3].

وعنه ﷺ أنه قال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[4].

وقال ﷺ:

«الا أخبركم بأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم

---

(١) سورة المائدة: ١٠٥.

(٢) أحمد ٥ / ٣٧٨.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ـ باب في حسن الخلق، ومالك في الموطأ ـ كتاب حسن الخلق ـ باب ما جاء في حسن الخلق ص ٥٦٤.

(٤) أخرجه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في صنائع المعروف ٣/٢٢٨، ٢٢٩. وقال الترمذي حديث حسن غريب.

أخلاقاً، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون»[1].

وهكذا نرى أن التواضع والألفة والبشاشة هي السبيل إلى القرب من مجلس سيدي رسول الله في الجنة.

واعيب على بعض المحجبات، جمود النظر، وتحجر الوجه، وتعالي المشية، ظناً منهن أن من الجدية ألا يبتسم الإنسان، وهذا الاعتقاد الخاطىء. أرجو الله أن أرى المسلمات الملتزمات ايجابيات مبشرات ينضح ما في قلوبهن من نور على وجوههن، فيسعى إليهن الناس لحل مشكلاتهن، والأنس بهن بما يشيع من جو البشر والحب والرحمة في المجتمع.

٧ ـ وعليك أختي المحجبة إن كنت موظفة:

أ ـ التيسير في العمل، وإياك والتعسير.

ب ـ التبشير.. وإياك والتنفير.

جـ ـ حافظي على مواعيد العمل ومصالح الناس.

د ـ أوفي بالوعد والعهد.

هـ ـ اكتمي أسرار من وضع سره عندك.

٨ ـ استري على الناس يستر الله عليك. يقول ﷺ:

«لا يستر عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[2].

---

(١) أخرجه البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب الخلق والسخاء وما يكره في البخل ١٣/٦٦، والموطئون : المتواضعون.

(٢) أخرجه مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ باب بشارة من ستر الله عليه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة ـ ٥ / ٤٥٠.

فاستري ولا تفضحي، واعلمي أن كل ابن آدم خطاء..

ولقد قال ﷺ:

«كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون...»[1].

يقول الأستاذ «حسن أيوب»:

ان المسلمين مطلوب منهم أن يستروا أخطاء غيرهم ولو كانت فاحشة إلا في حالات خاصة:

١ ــ أن نرى مرتكب الفاحشة يجهر بها ويعلنها تفاخراً ووقاحة.

٢ ــ أو ان يفعلها على ملأ من الناس وعلم منهم.

٣ ــ أو أن تكون الفاحشة قد انتشرت في الأمة واجترأ عليها الناس.

٤ ــ أو تكون حقاً في المال أو النفس يجب عليه أن يشهد به حتى لا تهدر النفوس وتضيع الأموال.

يقول ﷺ:

«كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله.. فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا.. وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»[2].

---

(١) أحمد ٣ / ١٩٨.

(٢) أخرجه البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب ستر المسلم على نفسه ـ ١٣ / ٩٧، ٩٨.

وفي غير هذه الحالات على المسلم أن يستر المسلم. .
والستر هنا أي عدم الفضيحة ولكن على المسلمة بعد ذلك أن تعظ المذنبة في نفسها وتقول لها قولاً بليغاً إن امكن ذلك وعليها ألا تحقرها أو تهددها بل تفسح أمامها طريق التوبة وتزينه لها بالورود. .

«فلئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[1].

وبهذا تصبح المحجبة رحمة تمشي بين أخواتها، ويقول ﷺ:

«من لا يرحم لا يرحم»[2]. ويقول:

«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[3].

ـ وبهذه المناسبة أحب أن أنبه كل مسلمة إلى أمر قد يخفى على الكثيرات فقد يظلم إنسان أو إنسانة في مجلس ما من بعض الكبار أو الصغار، وقد ترى المسلمة ألا تتدخل حرصاً منها على صلة الأخرين. . وهنا يقول ﷺ فيما يرويه ابن عباس:

«لا يقفن أحدكم موقفاً يقتل فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل

---

(١) البخاري ـ كتاب الجهاد ـ باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ـ ٦ / ٤٥٢.

(٢) أحمد ـ ٢ / ٢٢٨.

(٣) الترمذي كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في رحمة الناس ـ ٣ / ٢١٨.

على كل من حضر حين لم يدافعوا عنه، ولا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدافعوا عنه»[1].

واعلمي أن: الساكت على الحق شيطان أخرس.. فقولي قولة الحق في كل زمانٍ ومكان ولا تخشي في الله لومة لائم، وإياك والنفاق، فإن الله تعالى يقول:

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النـــار﴾[2]، أي قاع جهنم والعياذ بالله!

وهكـذا تصبحين ايجـابيـة متعـاونـة مـع النـاس في حـل مشكلاتهم، وتعطين القدوة الطيبة والمثل الراقي، وتجمعين بين المظهــر الإسلامي والمخبر الإسلامي بإذن الله.

واعلمي أختي المحجبــة: أنك لن تحققي هذا الهدف إلا بالحرص التام على ثلاثة أمــور:

أ ـ قراءة القرآن الكريــم :

احرصي على الصلة الدائمة بالقرآن، لأن القرآن فيه الهدى كله والنور كله ولكنه ينفلت من الصدر ويحتاج إلى قراءة متواصلة وتعهد دائم.. ويكفي أن تعرف كل مسلمة هذا الحديث لتحرص

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي باسناد حســن.
(٢) النســاء : ١٤٥.

كل الحرص على تلاوة جزء من القرآن يومياً.

يقول ﷺ: «إذا أردت أن تحدث ربك فاقرأ القرآن».

وقال: «إن القلب الخالي من القرآن كالبيت الخرب»[1].

وقال: «من حفظ القرآن وعمل به فقد استدرج النبوة بين جنبيه»[2].

ب ـ الحرص الدائم على الوضوء:

فلا تسيري قيد أنملة إلا وأنت على وضوء.. توضئي لكل شيء....

فإن الوضوء نور، والوضوء على الوضوء نور، وهو سلاح المؤمن، وقد قال ﷺ:

«من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظافره»[3].

جـ ـ ذكر الله:

عليك أن تعودي لسانك وقلبك على ذكر الله دائماً في كل حال، وحين قال ﷺ: «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله،

---

(١) الحاكم والترمذي وفي سنده اثنان: متكلم فيه. ومن لا يحتج به عند المحدثين.

(٢) الحاكم وقال صحيح الاسناد، ولكن من قرأ بدل من حفظ.

(٣) رواه أحمد.

مثل الحي والميت»[1].

قالت أم أنس لرسول الله ﷺ.. يا رسول الله أوصني..

قال:

«اهجري المعاصي، فإنها أفضل الهجرة، وحافظي على الفرائض، فإنها أفضل الجهاد، وأكثري من ذكر الله، فإنك لا تأتين بشيء أحب إليه من كثرة ذكره»[2].

وان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله:

«رجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه»[3] ـ ويقول تعالى:

﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[4].

وبعد... أختي المحجبة:

ستصبحين بفضل الله قدرة الغالب. أي ستكونين أمة ربانية تقولين للشيء كن فيكون[5].

هذا وبالله التوفيق...

كريمان حمزة

---

(١) رواه البخاري.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني باسناد جيد.. لكن الهيثمي قال في مجمع الزوائد: في سنده ضعيف.

(٣) رواه البخاري والموطأ والترمذي والنسائي.

(٤) الأحزاب: ٣٥.

(٥) (تقولين للشيء كن فيكون) زيادة موضوعة كما قرر المحدثون.

محتويـــات الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٥/٧٢٩١

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي ـ ١١٢٣١